الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

الأخلاق من منظور النظرية الانفعالية التجريبية المنطقية نموذجا

Ethics of Emotion

د. هارون غنيمة
أستاذة محاضر (ب) بكلية العلوم الاجتماعية والانسانية بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف
haroun_ghania@yahoo.fr

ملخص

مع بروز الدائرة الكبيرة للقضايا الأخلاقيّة في العصر الحديث والمعاصر بسبب استخدام منجزات الثورة العلميّة التقنيّة، وردا على المسائل الهامة جدا في الأخلاق التي اعترضت الإنسانيّة سعى العديد من العلماء في العصر المعاصر لإثبات حلّها بواسطة الأسلوب العلمي للتحليل اللّغوي، والتجربيون المناطقة من هؤلاء الذين يؤكدون على الاتجاه العلمي، إلا أنهم بدل أن يبحثوا عن الحلول لتلك المشاكل، ذهبو إلى التأكيد أنه ليس ثمة شيء اسمه في نظرهم "علم الأخلاق" إذا قصد بعلم الأخلاق إيضاح نسق أخلاق "صادق"، وذلك لأنه لما كانت الأحكام الأخلاقيّة مجرد تعبيرات عن الشعور، فليس ثمة طريقة لتحديد صحة أي نسق أخلاقي، وفي الحقيقة يكون بلا معنى أن نتساءل عما إذا كان نسق كهذا بمبادئ، وكل ما قد يتساءل المرء حوله على نحو مشروع في هذا الشأن هو ماذا عسى أن تكون العادات الخلقيّة عند شخص معيّن أو جماعة من الناس، وما الذي يجعلهم يملكون على نحو دقيق تلك العادات والمشاعر؟، ويقع هذا التساؤل بأكمله داخل نطاق العلوم الاجتماعية القائمة، ان علم الأخلاق كفرع معرفة لا شيء أكثر من كونه قسما من علم النفس أو علم الاجتماع، والكلمات الأخلاقيّة لا توظف في صنع عبارات واقع، وليس ثمة في علم الأخلاق ما يبرر الرأي القائل بانه يجسد نمط معرفة فريد. وهكذا حال ميولهم التجريبي دون إمكانيّة اعترافهم بدلالة الألفاظ الخلقيّة على أيّة كيفيات غير طبيعيّة، وبدت النظريّة الإنفعاليّة جذابة في نظرهم كوسيلة لحل المشكلات الأخلاقيّة، مما نتج عندهم التخلي عن الأخلاق.

الكلمات الدالة: التجربية، الانفعالية، التحليل، الأخلاق، القيم، العلم، القضية، المعنى.

Abstract

With the emergence of the great circle of ethical issues in the modern and contemporary times because of the use of the achievements of the scientific and technical revolution, and in response to the very important issues in the ethics which objected humanity, many scientists in the contemporary age sought to prove their solution by the scientific method of linguistic analysis, and the logical empiricists are those who emphasize on the scientific trend, But instead of looking for solutions to these problems, they went on to assert that there is no such thing as "ethics" if ethics is intended to clarifying the system of "true" ethic, because moral judgments are just expressions of feeling.

There is no way to determine the validity of any ethical system , and in fact it is meaningless to wonder if was such a system his principles, and all that may wonder one around him in a legitimate manner in this regard is what it may be that ethical habits are at a particular person or a group of people, And what makes them possess precisely those habits and feelings ?, and This whole question falls within the scope of existing social sciences, that ethics as a branch of knowledge is nothing more than being part of the psychology or sociology, and ethical words do not employed in making reality phrases, and there is no In ethics what justify the view that it embodies a unique pattern of knowledge. And thus opposed their experimental tendencies without possibility their confession in sense of congenital words on any qualities unnatural. In their view, so the Emotivism theory seemed attractive in their eyes as a means of solve the ethical problems, which resulted in their abandonment of ethical.

Keywords: *The Empirical, Emotivism, Analysis, Ethics, Values, science, the Proposition, Meaning*

مقدمة

إنه وعبر تاريخ الفكر الغربي نظر الكثير من المفكرين والفلاسفة إلى الأخلاق على أنها هي أكثر المواد جميعا إنسانيّة وهي أقربها جميعا إلى الطبيعة البشريّة وعلى أنها تتصف بالحسيّة التي لا يمكن محوها، وهي ليست لاهوتيّة ولا ميتافيزيقيّة ولا رياضيّة، وحيث إنها تتعلق مباشرة بالطبيعة الإنسانيّة، فكل ما يمكن معرفته عن العقل الإنساني والجسم الإنساني في علم وظائف الأعضاء وعلم الطب والأنثروبولوجيا وعلم النفس يكون ممّا يناسب البحث الأخلاقي... فعلم الأخلاق ليس شيئا له ميدان منفصل ولكن معرفته ماديّة بيولوجيّة تاريخيّة وضعت في محتوى إنساني حيث تضيء الإنسان وترشده[1].

وأكيد أيضا أننا نعلّق على العلم الكثير لحل المشكلات التي تصادفنا في كل المجالات ومن نفوذه على مناطق مجهولة «ولكن إن كان العالم الإنساني واحدا كما يقال فهو أكيد عالم تنفذ القيم أيضا إلى جميع صور فاعلياته ومن بينها العلم نفسه، لا فرق في ذلك بينه وبين الفلسفة والدين والفن»[2]، والأخلاق تتطور وتتغيّر في ظل التقدّم العلمي والتقني المعاصر وما يصاحبه من اضطرابات ومؤثرات تمسّ كلّ مكونات الحياة الإنسانيّة حتى أصبحت إشكاليّة الأخلاق في العصر الحاضر إشكاليّة متفاقمة في العالم كله.وإذا كان بعض الفلاسفة التقليديون وخاصة اللاهوتيون اعتقدوا أن هناك نموذجا مثاليا يجب التطلّع إليه مهما اختلفت الظروف الزمانيّة والمكانيّة [3]، فإن مجموعة أخرى من الفلاسفة المعاصرين خاصة لا يرون أيّ وجود لهذا المثال خارج كل واقع اجتماعي معيّن، ولهذا لم يعد مطروحا عندهم حتى البحث عن أساس للأخلاق وتبرير الوقائع التي تعرضها علينا، وخاصة إذا عرفنا أن من أكثر الموضوعات جدلا بينهؤلاء الفلاسفة الأخلاق المعاصرين مسألة معنى المعنى المعرفي Cognitive وغير المعرفي Non Cognitive وعلاقتها بالأحكام الأخلاقيّة، والتي شهدت تطورا كبيرا بفعل النظريات الحديثة في الفيزياء وكذا بالنظرية السلوكية في علم النفس، مما أدى بالكثير منهم الاهتمام بطبيعة معرفتنا بالأشياء الفيزيقية، وفي موقفهم من طبيعة الواقع وكذا من مشكلة العلاقة بين العقل والحس....[4].كما أبدى الكثير منهم اهتمامهم الشديد بالمسائل المعرفيّة ومن زاويّة تجريبية، هذه المعرفة التي سيكون لها دور هام في موقفهم من الدلالة في اللغة حيث يرتبط معنى القضية عندهم بمبدأ التحقق التجريبي، وهو ما يترتب عليه أن القضايا التي لا تعبّر عن وقائع تجريبية هي قضايا خالية من المعنى،ومن هؤلاء الفلاسفة نجد الذين تبنوا النظرية الانفعالية وعلى رأسهم التجربيين المناطقة*.

فما هي النظرية الإنفعالية؟ و ما موقف أصحاب هذه النظرية من الأخلاق؟

1ـ تاريخانية النظرية الانفعالية

تعتبر الانفعاليةEmotivism من أكثر النظريات الأخلاقيّة نفوذا في منتصف القرن العشرين إلى جانب الحدسية والطبيعية والواقعية الشخصية، وهي نظريّة جاء اسمها من التفرقة بين الإدراك والانفعال، وقيل عنها أنها ظهرت في الفترة ما بين عامي 1920-1930، و«هي وجهة نظر ميتا أخلاقية❖❖ تدّعي أن الأحكام الأخلاقيّة لا تعبّر عن القرارات ولكن على المواقف العاطفيّة»[5]، وأصحاب هذه النظرية الانفعاليةيرون أن مواقفنا الخلقيّة تعبّر عن رغباتنا وانفعالاتنا لكنها لا تنقل أي محتوى معرفي، والخطاب الخلقي عندها يكشف عن اختياراتنا، إنها شكل من النظريات اللاإدراكية، وهي معارضة لجميع أشكال النظريات الإدراكية (الواقعية الأخلاقيّة، والنظريات الأخلاقيّة).

ولقد تأثرت هذه النظرية بنمو الفلسفة التحليلية والوضعيّة المنطقيّة (التجربية المنطقيّة) في القرن العشرين، وذكرت بوضوح من قبل الفريد ج آيار1910-1989)Ayer.A.J) في كتابه "اللغة والحقيقة والمنطق"عام 1936، ولكن تطورها يعود إلى ليزلي تشارلز ستيفنسون1908-1979)Stevenson.C.L)، وفي عام 1950 ظهرت الانفعالية في شكل معدّل مع ر هيرHare Richard Mervyn(2002-1919)Universal Prescriptivism.

ولكن رغم ذلك فلهذه النظرية بدايات قبل القرن العشرين مع جورج باركلي1685-1753)Berkeley.G) عام (1710) فهو الذي أكّد «إن اللغة بشكل عام غالبا ما تعمل على إلهام المشاعر وكذلك التواصل الأفكار»(6)،لتظهر بعد عقد من الزمن مع هيوم1711-1776)Hume.D) في صورة أكثر تطورا والقول بالعاطفة وبالخاصة في كتابه "تحقيق حول مبادئ

الأخلاق"1751ولهذا يعتبر الرائد الأوّل في الزعم أن الحكم الخلقي مسألة عاطفة وإحساس وليس حكما عقليا،حيث اعتبر هيوم في هذا الكتاب أن الأخلاق مرتبطة بالحقيقة ولكن تحددها المشاعر.

كما يمكن ردّ هذا الاتجاه الوضعي في فهم علم الأخلاق وعلم الجمال بصورة مباشرة أيضا كما يقال إلى جورج مور Moore.G.E(1873-1958) الذي اعتبر الخير مقولة انفعاليّة أو وجدانيّة في كتابه "مبادئ الأخلاق"(Principia Ethica)عام 1903، رغم أن مور كان ضمن المذاهب المعرفية لكن قضيته ضد الأخلاقيّة الطبيعيّة وجّهت الفلاسفة الأخرين نحو غير المعرفية أي الانفعالية.

ولكن صياغتها الأولي كنظرية بدأت سنة 1911 على يد الفيلسوف السويدAlxel Hagerstion في محاضرته "في حقيقة القضايا الأخلاقيّة"، "Proposition on the truth of Moral "، ثم طورت نظريته سنة 1917 وانتشرت نوعا ما في الدول الإسكندنافية عن طريق Ingmor Hedenive انجمر هيدنفسي وألف روسAlf Ross، ثم في بريطانيا عن طريق برتراندراسل1872-1970)Russel.B.A)،كما استخدمها أوجدنOgden Ch.K، ورتشاردزRichards I.A في كتابهما "معنى المعنى" لأوّل مرّة وبنفس الدلالة التي سيستخدمها آيار بعد ثلاثة عشر عاما، فهما القائلان أن الخير وهو موضوع الأخلاق لا يعني شيئا وليس له وظيفة رمزيّة[7]، كما أنه وفي بعض الأحيان يعزى هذا المذهب العاطفي في الأخلاق إلى جورج سانتيانا 1863-1952) L.Santyana) وهو فيلسوف وشاعر أمريكي عام 1912، ولكن العبارة الأكثر شيوعا فهي تعود إلى كتاب أيار (اللغة، والحقيقة والمنطق)1936 كما سبق وقلنا.

ويمثل هذه النظرية أيضا إلى جانب التجربية المنطقية التحليليين والوجوديين، وهم يتفقون على أن عبارات "القيم الخلقية" بل وغيرها من القيم خالية من المعنى، ليست تضيف شيئا من الصفات، " فكلا من الفلاسفة التحليليين والوجوديين يتخذون موقفا مفاده أن مصطلحات القيمة لا تمثل أو لا تنوب عن الخواص أو الصفات سواء كانت طبيعية أو غير طبيعية، وأن أحكام القيمة ليست عبارات تضفي صفات أو خواص ولكن لها معنى أو وظيفة أخرى"[8]، ولهذا يمثلون هؤلاء النظرية الوضعية اللاإدراكيّة على اختلاف وتباين نظرياتهم.

2ـ هل يمكن للأخلاق والقيم أن تكون موضوعا للمعرفة العلميّة عند هؤلاء الفلاسفة؟

إن التجريبيين المناطقة من أهم الفلاسفة الذين اعتنقوا هذا المذهب الانفعالي، فهم الذين وبكل وضوح وصراحة وصرامة أرادوا تهديم أغاليط التفكير الغير العلمي بأجمعه، وغرس عقلية لا تفكّر باصطلاحات غير علميه، ورفض قضايا اللاّهوت التقليدي والميتافيزيقي ذات الطابع المطلق ومحاولة استئصالها باعتبارها غير علميّة ولأنها غير ذات معنى، لهذا أرادوا هدمها لتحل محلها الحقائق النسبيّة وتوطيد بالمقابل البديل الوضعي و« استبعاد كل مضمون غيبي للظواهر الاجتماعية وللقضايا العلميّة واختزالها إلى قضايا تجريبيّة أو تحصيل حاصل من أجل إظهار طابعها الموضوعي والعقلاني مستبعدين في نفس الوقت كل ما يتصل بالقرار والالتزام من دائرة اهتمامالفلسفة، لأن مملكة القرار والالتزام هي في نظرهم مملكة الأحكام الذّاتيّة والعشوائيّة»[9]، وهذا ما يختصره كارناب1891-1970)Carnap.R) في قوله « تعود المعرفة أساسا إلى تجاربي التي تتعلق فيما بينها وتترابط وتتركّب وبذلك يوجد تقدّم منطقي يقود أولا إلى كائنات الوعي المختلفة ثم إلى المواضيع الفيزيائيّة، إضافة إلى ذلك يقود بعون هذه الخبرة إلى ظواهر وعي الذّوات الأخرى، أي النفسي الغيري... والحال أن هذا يلخص نظريّة المعرفة برمتها»[10]، وهذا ما قاده إلى القول أيضا « بأننا لا نجيب عن أسئلة فلسفيّة، سواء كانت تتعلق بالميتافيزيقا أو نظريّة المعرفة أو الأخلاق لأن اهتمامنا هو بالتحليل المنطقي»[11].

لقد أراد الوضعيون التقليديون مثل كونتComte.A ودوركايم Durkheim وليفي بريلLévy-Brul.L... علميّة القيم الأخلاقية التي يدين بها الناس في حياتهم، وجعلها غير مرتبطة بأيّة إيديولوجيّة مهما كان نوعها والحياد عن موقف ومصالح بعض التكتلات والأنظمة الاجتماعية المختلفة وتحريرها من الأساس العقائدي الذي يضلل الناس حسب اعتقادهم، فمارسوا المنهج الوضعي الحسي على جميع المجالات منها الاجتماعيّة وطبيعة الأخلاق ونشأة الأديان ومختلف النظم الاجتماعية، فأكدوا بأن المجتمع هو الذي شرّع القواعد الأخلاقيّة وبالتالي رأوا ضرورة التوجيه العلماني للأخلاق والقيم، وأنه ليس مهمة الأخلاق تكوين قواعد السلوك بشكل مجرّد بل الاكتفاء بملاحظة القواعد في ممارستها في مختلف المجتمعات، وهكذا لم تعد الأخلاق علما معياريا للخير عندهم ولكن علما وضعيّا للعادات الأخلاقيّة[12]، إلاّ أن التجريبيين المناطقة والمدرسة الانفعالية عامة وفلاسفة اللغة العاديّة الذين ينظرون إلى الأخلاق على أنها لا يمكن أن تصبح علم، رأوا ضرورة تحديد أسس علميّة للفصل بين ما هو علمي وغير علمي والتي اعتبروها كافيّة لتحقيق أهدافهم الجديدة، ومن أجل زحزحة تلك الأفكار المطلقة التي كان يعتقد ويناضل من أجلها الناس ويصدرون عنها، خاصة بعد أن فشل هؤلاء التجريبين التقليديين في نظرهم في تحديد دراسة موضوعيّة يتفق على صوغها المفكرون الأخلاقيون وخففت منهجيّة البحث الخلقي الوضعي نفسه. وهذا ما حدى بالتجريبيين المناطقة إلى حدّ نفي صفة العلم عن موضوع الأخلاق، بحيث لا يمكن اعتبارها علما من العلوم بحسب المقاييس المتعارف عليها في تحديد ما يعتبر من العلوم وما لا يمكن اعتباره داخلا فيها، فقالوا "بمعيار المعنى" والذي « الغرض من ابتكاره هو أن يتجنب الفلاسفة والعلماء مشّقة المناقشة بلا طائل حول أسئلة لا معنى لها، فمعيار المعنى في صورته الأساسيّة يهدف إلى نعت أيّ قول علمي مبني على الافتراض ومتعذر نفيه أو إثباته بالاعتماد على الخبرة الحسيّة بأنه عديم المعنى، وبأنه ذو معنى إن أمكن نفيه أو إثباته بالخبرة الحسيّة»[13]، بمعنى آخر «

أن للقضيّة معنى يمكن وصفه فقط إذا كان يترتب على صدقها أو كذبها اختلاف يمكن التحقق منه، فالقضيّة التي يظل العالم كما هو وذلك في حالة كذبها أو صدقها على السواء هي قضيّة لا تقول على الإطلاق شيئا عن العالم فهي فارغة من المعنى ولا تنهض بتوصيل شيء ولا يمكنني إعطائها أي معنى»[14]، فمثلا ومن أهم مباحث علم الأخلاق ما يتعلق "بالضمير" وهو ما لا يمكن ملاحظته مشاهدته والحكم عليه، وكذلك الأمر بالنسبة للبواعث والنوايا التي تسبق الأفعال أو تقارنها والأثار النفسيّة التي تترتب على التصرفات الخلقيّة وتعقبها، مثل الشعور بالحزن أو الأسف أو الندم أو الرفض... ولهذا وحسب التجريبيين المناطقة لا نجد في البحث في الأخلاق الوضعيّة إلا التأملات الذّاتيّة والأراء الشخصيّة للفيلسوف أو المفكّر الأخلاقي وهو ما حدى بهم إلى إنكارها وإنكار أن الأخلاق علم مستقل أو صنعة أو تطبيق للعلم بعد أن حاول الوضعيون التقليديون أو التجريبيون عامة وحتى بعض المثاليون والعقليون أن يجعلوه علما مستقلا مثله مثل العلوم الاخرى، واستمرت المحاولات لفترة طويلة تحاول إقامته معتمدا على غيره من العلوم التي ثبت وجودها في مجال الدراسات الإنسانيّة والاجتماعية ولكن بدون جدوى، لأنه وحسب ما يؤكدهبرتراند راسل وإن لم يكن يعد من التجريبيين المناطقة ولكن يتفق معهم في العديد من النقاط منها «أن المعرفة الإنسانيّةهي معرفة العالم التجريبي، هو وحده مجال العلوم على اختلافها، فإن جئت تنطق لنا بعبارة لا تشير إلى شيء من أشياء هذا العالم المحسّ، فأقل ما يقال فيها هو أنها خارجة عن الحدود المشروعة للعلم، إن ما تنطق به عندئذ لا يكون "معرفة" مما يمكن أن يتناقله الناس ويتبادلون»[15]، ويفرق بين مادة العلم ومادة الأخلاق، لأن هذه الأخيرة هي مجرد « محض مشاعر وانفعالات، وليست مدركات حسيّة، فالحكم الخلقي أو حكم القيمة لا يقرر حقيقة واقعة، بل يبتعث أملا في شيء أو خوفا منه، رغبة في شيء أو عزوفا عنه، وإن كان كثيرا ما يحدث ذلك كله في صورة مقنعة»[16].

وهذا ما يراه أيضا ه.ريشنباخ (Reichenbach.H(1953-1891 فعنده «المعرفة ـ ويقصد المعرفة العلميّة الخالصة ـ لا تشتمل على أيّة أجزاء معياريّة، وبالتالي لا تستطيع تفسير الأخلاق، ومن هنا فإن الموازاة بين الأخلاق والمعرفة تضرّ بالأخلاق لأنها تؤدي إلى سلب الأخلاق طابعها الآمر»[17]، ليؤكد « أن الذي يرمي إلى إقامة الأخلاق على أساس معرفي إنّما هو نتيجة لسوء فهم للمعرفة، وللرأي الباطل القائل أن المعرفة تنطوي على جانب معياري»[18]. ورغم أنه في مواقع أخرى يدعوا بتخفيف الفصل الحاد والغلو بين المعرفة والأخلاق، إلاّ أنه حرص كثيرا على هدم الفلسفة التأمليّة التي سعت إلى إقامة التوجيهات الأخلاق بنفس الطريقة التي تشيد بها المعرفة المطلقة، فليس للعقل كما يرى قدرة على سن القانون الأخلاقي كما زعم العقليون ولا يمكن كشف القواعد الأخلاقيّة بعمليّة تبصر، ولهذا يؤكّد « أن الفلسفة العلميّة قد تخلت نهائيا عن خطة وضع قواعد أخلاقيّة، فهي تنظر إلى الغايات الأخلاقيّة على أنها نواتج لأفعال إراديّة لا للمعرفة، وكل ما يمكن أن تتناوله المعرفة هو العلاقات بين الغايات أو بين الغايات والوسائل، أما القواعد الأخلاقيّة الأساسيّة فلا يمكن تبريرها من خلال المعرفة، وإنما السبب الوحيد للأخذ بها هو أن أناسا يريدون هذه القواعد ويريدون من الآخرين أن يتبعوها، فالإرادة لا يمكن استخلاصها من المعرفة، بل إن الإرادة البشريّة هي التي تولّد ذاتها وتحكم على ذاتها»[19]، ولهذا كانت عنده «محاولات الفلاسفة صياغة الأخلاق كما لو كانت مذهبا في المعرفة قد انهارت... ونحن نعلم ـ يقول ـ السبب الذي تعيّن من أجله أن تخفق هذه المذاهب فهو أن المعرفة لا تستطيع أن تخدم توجيهات، فعلى من يبحث عن قواعد أخلاقيّة ألاّ يحاكي منهج العلم، إذ أن العلم ينبئنا بما هو كائن لا ما ينبغي أن يكون»[20]على عكسي الأخلاق.

ولهذا عندما يسأل التجريبي المنطقي «ما الخبرة الممكنة التي يمكن أن تحسم الأمر بين القضايا الأخلاقيّة الصادقة والكاذبة، يكون الجواب بالطبع لا توجد إجابة عن ذلك، لأنها مثل العبارات الميتافيزيقيا لا يمكن التحقق من صدقها، ونفس الشيء يسير على الأخلاق المتعاليّة أو أية محاولة لإقامة عالم للقيم يعلوا على الخبرة الممكنة لأن القضايا التي تتكلم عن القيم تدخل في نطاق الميتافيزيقا المثاليّة ومن ثم يجب رفضها»[21].

وكذلك ينكر زكي نجيب محمود(1905-1993) على الأقل في بداياته الأولى عندما تبنى التجريبية المنطقيّة أن تكون القيم موضوعا للمعرفة فحسبه «قد كشف التحليل المنطقي للأحكام الدّالة أنها ليست من المعرفة إطلاقا فضلا عن أن توصف بما يوصف به ادق أنواع المعرفة من يقين، إن الأخلاق لا بدّ أن توضع خارج نطاق العلم طالما اصرّت على رسم "ما ينبغي أن يكون" فهي تدخل بذلك في نطاق آخر من الكلام وهو الكلام الذي يعبّر به الإنسان عن رغباته وآماله، وفي ذلك يختلف الناس دون أن يكون في اختلافهم تناقض يأباه العقل ومنطقه»[22]، لأنها بغير واقعة خارجيّة تكون من العبارة بمثابة الأصل من صورته يرجع إليه للنظر إن كانت صحيحة أو غير صحيحة.

إن العلم عند التجريبي المنطقي هو الذي له نظرة وقائعيّة للمعرفة وهو مصدر للتنبؤات والمعلومات التي يمكن توظيفها لخدمة أغراضنا العمليّة، وهي نظرة وجدت كما هو معلوم عند (هيوم)، ولكن رغم ذلك فالملاحظ أن التجريبيين المناطقة بحثوا واعتنوا بالأخلاق وإن كان اكثر ما بحثوا فيه ليس المسائل الأخلاقيّة لكن «طبيعة الأخلاق»[23] يؤكد ريشنباخ كما جميع التجريبيين المناطقة.

أما آيارفيذهب أكثر من ذلك ليؤكد«أن الفلسفة الأخلاقيّة تتألف من القول بأن مفاهيم "علم الأخلاق" هي مفاهيم زائفة أو أشباه مفاهيم ولذلك فهي غير قابلة للتحليل، والمهمة الأبعد في وصف المشاعر المختلفة التي تستخدم مصطلحات علم الأخلاق المختلفة للتعبير عنها وردود الأفعال التي تشيرها عادة إنما هي مهمة المهتم بعلم النفس أو النفساني، ولا يمكن أن يوجد علم بالمعنى التقني لكلمة "علم" من قبيل علم الأخلاق، إذ كنا نعني بهذا العلم تكوين نظام حقيقي محكم للأخلاق،

وطالما أن الأحكام الخلقيّة هي مجرّد تعبيرات عن المشاعر فلا يمكن إيجاد طريقة لتقرير مشروعيّة نظام أخلاقي ما، وكذلك فإنه في الحقيقة الأمر ليس ثمة معنى في السؤال عما إذا كان أيّ نظام من هذا القبيل صحيحا»[24].

وهكذا انتهى التجربيون المناطقة إلى استبعاد "علم الأخلاق" وكل العلوم المعياريّة من مجال العلم بحجّة أن قضاياها لا تحمل معنى يحتمل الصدق أو الكذب لأنها أوامر أو عواطف وتمنيات في صيغ مضلّلة، وهم يقفون موقف معارض مما يسمى "الموقف الإدراكي" والذي يمثله خاصة اتجاه التجربيين التقليديين أو الطبيعيين من جهة واتجاه الحدسيين أو اللاطبيعيين من جهة أخرى، هذان الاتجاهان ورغم الاختلافات التي بينهم إلاّ أنهم يتفقون «أن هناك علما للخير والحق، وإن كان نوعا خاصًا من العلم»[25].

وفي النهاية ينتهي آيار مؤكدا «حين نتبنى القول بأن الأحكام الخلقيّة هي أحكام وصفيّة لوقائع طبيعيّة، نرتكب مغالطة طبيعيّة... وحين نتبنى القول بأن الأحكام الخلقيّة هي أحكام وصفيّة لوقائع لا طبيعيّة نتجاوز على المبادئ الوضعيّة، ومن أجل الخروج من هذا المأزق نصح برفض الافتراض الذي يؤدي إلى ظهوره (ظهور المأزق)، وهو الافتراض القائل بأن تحليل الأحكام الخلقيّة يجب أن يحفظ الخاصيّة الوصفيّة الظاهريّة للأحكام الخلقيّة، واستنتج بأن الأحكام الخلقيّة هي نوع من الأحكام اللاّوصفيّة، ـ ولكن أيّ نوع من الأحكام اللاّوصفيّة هي؟ جواب آيار هنا ـ هو أنها تعبير عن مواقف معينة يتخذها المتحدّث»[26]، ولهذا قال بنظريّة الانفعالية.

إن الذين ـ في رأي التجربيين المناطقة ـ اهتموا ببناء الأنظمة المعياريّة المختلفة والتي قُدمت بمثابة مبادئ السلوك الرئيسيّة وأجروا حولها جدالات لا نهاية لها نجد عدم تطابق تقديراتهم، كما عجزوا عن تحقيق الغرض منها، مما أدى بالمبادئ الأخلاقيّة في العصر الحديث لعدّة تقلبات جنحت لها من النفعيّة إلى الوضعيّة العمليّة والماركسيّة والوجوديّة والعدميّة والمثاليّة...، في حين لم تحقق شيء للتغلب عن الأزمات الأخلاقيّة أو الإجابة عن التساؤلات التي طرحها ويطرحها هذا العلم، وهذا ما دفع بهم بالهجوم علنيّة على علم الأخلاق والدّعوة لإعادة طرق البحث فيه أي في الأخلاق ذاته ومضمون الخير والشر.

ويمكن تقسيم المذاهب الأخلاقيّة بمنظور التجربيين المنطقيّة وكما يوضّحها لنا زكي نجيب محمود عبر التاريخ في النهاية إلى قسمين أساسيين: مذاهب تصويريّة وأخرى تعبيريّة، ويرفض التجريبيون المناطقة مذهب الأخلاق التصويريّة الذي يؤكد أن أية عبارة نعبّر بها عن حقيقة أخلاقيّة كقولنا مثلا "إن الوفاء بالوعد واجب" ...إنما هي عبارة تصف شيئا كائنا بغض النظر عن نفس القائل ومشاعره، فهناك ـ في رأيهم ـ في العالم الخارجي أعمال يمكن مشاهدتها تسمى مثلا "الوفاء بالوعد"...، ومن ثم هناك صفة تصف تلك الأعمال هي صفة "واجب" ليست من خلق الإنسان ولا من خياله إنما هي صفة موضوعيّة كارتفاع "جبال هماليا" لا دخل للإنسان فيها...، فهو إنما يصف حقيقة لم يكن له يد في ايجادها ولن يكون له يد في تغييرها، وإذن فمن وجهة نظرهم هذه تكون "القيمة" موضوعيّة تدرك وتوصف بعبارة وصفيّة علميّة»[27]، أما التجربيون المناطقة فيرون غير ذلك كله، إذ يرون أن العبارة الأخلاقيّة ـ وكذلك الجماليّة ـ هي جملة تعبيريةلا تزيد على كونها تعبيرا عما في نفس القائل من شعور ذاتي خاص به، و عندئذ يستحيل أن يقف السامع منه موقف المصدق أوالمكذّب لما يقول لأنه لا سبيل إلى مراجعته فيما يقول وكيف يراجعه وهو لم يقل جملة تعبيريّة، لا تزيد على كونها تعبيرا عما في نفس القائل من شعور ذاتي خاص به، إنما نطق بشيء أشبه بالصراخ،إن العبارات المقبولة عند التجربيين المناطقة هي القضايا الرياضيّة وقضايا العلوم الطبيعيّة أماّ الفئة الثالثة التي تضم عبارات لا هي رياضيّة تحليليّة ولا هي تركيبيّة إخباريه فهي أقرب إلى التعبيرات الانفعالية العاطفيّة «ويدخل تحت معنى الانفعالي كل الجمل الميتافيزيقيّة بالإضافة إلى الشعر والأخلاق المعياريّة والدراسات الدينيّة والجمال»[28]، ومن ثم كانت في نظرهم كلاما فارغا لا يحمل معنى يمكن أن يوصف بالصدق أو بالكذب، إنها "أشباه قضايا" وليست بقضايا حقيقيّة، بمعنى أنها تتخذ صورة القضيّة لكنها ليست قضيّة، إنها لا تدخل في نطاق القضايا التركيبيّة الإخباريّة، وبالتالي حسنها وقبحها وما ينبغي منها وما لا ينبغي منها وغير ذلك من المفاهيم الأخلاقيّة الواردة فيها ليست مرئيّة ولا مسموعة ولا تدرك بأي حاسة من الحواس الأخرى، وبناء عليه لا يمكن تجربة وجود أو عدم وجود هذه الخصائص في الموضوعات الأخلاقيّة (الحسن والقبح)، إنه لا يمكن التحقق منها عن طريق التجربة الحسيّة فهي أحكام ذاتيّة.

إن الأخلاق والقيم تختلف تماما عن مجال العلم ولا صلة له بهما، فإن كانت « الأخلاق المعياريّة هي نشاط فلسفي الغرض منه تزويدنا بالأساس الذي يمكن بواسطته تقييم المواقف أو الأحكام الخلقيّة أو تقييم البدائل المتاحة لنا في سياق الاختيار الخلقي لنعرف ما الذي يجب أو على الأقل ما يستحسن اختياره من بينها»[29]، فبالنسبة لهم و« طبقا للمتطلبات الأساسيّة لعلم الأحكام الأخلاقيّة لن يستطيع الباحث الذي ينشغل بمسائل تطبيق المبادئ العلميّة على تحليلاتها، وقبل كل شيء مبدأ التحقق الذي يحتل مكانا هاما في حقول المعارف العلميّة المختلفة»[30].

ولهذا يضع هؤلاء التجربيين المناطقة العبارات الأخلاقيّة ضمن العبارات الإنشائيّة وكل ما يتعلق بما هو معياري وانفعالي كالمشاعر والفن والجمال والسياسة، ويؤكدون أنه من « الخطأ اعتبار "الأخلاق" مبحثًا مثله في ذلك مثل علم الجيولوجيا أو تاريخ الفن...، حيث هناك درجات من الخبرة، بحيث أنه مثلما ننظر إلى مؤرخ الفن كشخص يستطيع ـ وفقا لدرجة تدريبه وخبرته ـ تحديد ما إذا كانت لوحة فنيّة لوحة مزيفة أم أصليّة، كذلك يمكننا أن ننظر إلى الفيلسوف كشخص يمكنه أن يحدد ما إذا كان فعل أخلاقي فعلا خاطئا

أم لا، وفي الحقيقة ليس للفيلسوف هذه الخبرة، لا لقصور في تعليمه ولكن لأنه لا وجود في فلسفة الأخلاق لمثل هذا المرشد ذي السلطة الذي يمكنه اطلاق حكم أخلاقي لا معقب وراءه»[31]، ولهذا يطلق على هذا الموقف للتجربيين المناطقة من القيم والأخلاق موقف "اللاإدراك" أو"الشك الجزائي" وإن كانوا يختلفون فيما بينهم ـ أي أصحاب التجريبية المنطقيّة ـ اختلافا يسيرا في فهم القضايا الأخلاقيّة، لكنهم في النهاية يتفقون في أغلب الأفكار الأساسيّة كما رأينا سابقا.

3ـ فماذا يقصدون بالانفعالات؟

يشير مصطلح "المعنى الانفعالي إلى قدرة اللفظ الخلقي على التعبير عن المشاعر والاتجاهات عند المتكلم، واستثارتها في السامع، على أساس أن التعبير متميّز عن الوصف، إن معنى اللفظ وظيفته والدورالذي يؤديه في الحياة الخلقيّة، وهذه الانفعالية فيما يُرى هي مايهب الحكم الخلقي طابعه المعياري.

ونعلم جميعا أن التجربيين المناطقة استمدّوا رفضهم للميتافيزيقا من رسالة فجنشتين1889-1951)Wittgenstein.L)، حيث يؤكّد الكثير من فلاسفة التجريبيين المناطقة ممن ساروا على نفس خطه في رفض الأخلاق، فجنشتين الذي ذهب إلى أنه لا يمكن أن تكون ثمة قضايا أخلاقيّة لأنه وحسبه«الأخلاق لا يمكن التعبير عنها»[32]،و بالتالي فالفلسفة الأخلاقيّة التقليديّة لا تنطوي على أيّ بحث في الوقائع بل هي بحث مزعوم فيما هو خير وما هو شر، أي فيما يصحّ عمله وما لا يصحّ عمله، فلو نظرنا إلى العبارات الأخلاقيّة على أنها تعبير عن "قضايا" كان في وسعنا أن نقول أنها لا تعبّر عن أي شيء قابل للتحقق تجريبيا، ولو نظرنا إلى العبارات الأخلاقيّة على هذا النحو لكان علينا أن نقول أنها عبارات ميتافيزيقيّة خاليّة من كل معنى[33]. بذلك يؤكد فجنشتين «لا يمكن أن توجد قضايا ذات معنى صادقة أو كاذبة حول المسائل الأخلاقيّة، إذلا يمكن مقارنة القيم مع الواقع لمعرفة إذا كانت صادقة أو كاذبة، يلزم عن ذلك أن القول الأخلاقي غير ممكن، فالأخلاق كالمنطق ترنسندنتاليّة»[34] أي أنها تقع خارج مملكة ما يمكن قوله لأن « القضايا لا يمكن أن تعبّر عما هو أعلى»[35]،ولذا كانت محاولات الفلاسفة السابقين محكومة بالفشل، وذلك ناتج عن استخدامهم للّغة العاديّة، وهيّ لغة غير دقيقة تخفي الصورة المنطقيّة الحقيقيّة للقضايا، ولهذا فالنتيجة عند فجنشتين لا بدّ من استبعاد القولين الأخلاقي والميتافيزيقي لأنه« سيكون المنهج الصحيح في الفلسفة هو هذا ألاّ نقول شيئا عدا ما يمكن قوله أي قضايا العلم الطبيعي، وهذا شيء لا علاقة له بالفلسفة»[36].

ولكن على عكس فجنشتين أبدى بعض التجربيين المناطقة مثل آيار وكارناب ونويراث وستيفنسون...وآخرون استعدادا أكبر لمناقشة المسائل الأخلاقيّة، وإن كانوا يوافقون فجنشتين في ما ذهب إليه، فهذا كارناب يؤكد في كتابه «التحليل المنطقي للميتافيزيقا» أنه إلى جانب الميتافيزيقا وضمنها كل فلسفة للقيمة وكل نظريّة معياريّة قد أفضى إلى نتيجة سلبيّة مؤداها أن القضايا المزعومة في هذه المجالات تخلوا تماما من أيّ معنى، ومن ثم لا بدّ من استبعادها استبعادا تاما، ليؤكد « نحن ...نرفض كل المشكلات الفلسفيّة التي تعبّر عن نفسها في صورة ميتافيزيقيّة أو أخلاقيّة أو معرفيّة»[37]، ويرفض أيضا الاسئلة التي كانت تدور حول تقييم المعايير الأخلاقيّة والتي اهتمت بها المدارس المثاليّة والمدارس المنفعة ومدرسة الحدس الأخلاقي...إلخ. أنهوحسبه أن العبارات الأخلاقيّة « مجرّد أوامر، فقولك إن الصدق فضيلة يشبه قولك التزم الصدق»[38] إنها ليست قضايا على الإطلاق، بل هي ذات ارتباطات نفسيّة لا تنقل إلينا أي نوع من المعرفة لأن المفاهيم الأخلاقيّة الأساسيّة غير قابلة للتحليل، ولو نظرنا إلى العبارات الأخلاقيّة على انها تعتبر "قضايا"ــ حسبه ـ لكان علينا أن نقول إننا هنا بإزاء"قضايا زائفة" لا تعبّر عن أي شيء قابل للتحقق تجريبيا، والحق أننا هنا بإزاء أقاويل لا تعبّر إلاّ عن بعض الرغبات أو الأوامر أو الوصايا، إن العبارة الأخلاقيّة التي تقول مثلا "إن القتل جريمة" قد خدعت الكثيرين بسبب مظهرها اللّغوي، فظن الفلاسفة مثلا أنها قضيّة تدلّ على الحكم في حين أنها لا تزيد عن كونها مجرّد "وصيّة" أو "أمر" يشبه قولنا "لا تقتل"، وصحيح أننا هنا بصدد وصيّة مستترة ولكننا لا نستطيع أن نقول ــ بأية حال ــ إننا هنا بصدد قضيّة منطقيّة تقبل الصدق أو الكذب، وعلى حين أن الأوامر لا يمكن أن تعدّ صادقة أو كاذبة، وبالتالي فإنها لا تمثل "قضايا" أصلا، ونجد أن فلاسفة الأخلاق قد توهموا أن أحكام القيمة هي قضايا حقيقيّة فراحوا يجهدون أنفسهم بالبرهنة على صدقها أو كذبها، وفات هؤلاء أن أيّ حكم قيمة لا يزيد عن كونه وصيّة أو أمر مستترا فكوّن صيغة لغويّة خداعة، ومعنى هذا أن العبارات الأخلاقيّة لا تقرّر شيئا ولا تشير إلى أيّ شيء، فلا سبيل إذن إلى تقديم أي برهان إثبات أو برهان نفي لا على صحتها أو كذبها[39].

وإذا كان الفلاسفة -يؤكد كارناب- «يستخدمون الأخلاق بمعنيين: فريق رأى فيه بحث تجريبي (سيكولوجي أو سوسيولوجي نفسي أو اجتماعي) معيّن تدور حول أفعال الكائنات الإنسانيّة، منظورا بصفة خاصة إلى أصل هذه الأفعال من إحساسات وإرادات مختلفة وتأثيرها على أناس آخرين والأخلاق بهذا المعنى بحث تجريبي»[40]، فهذا التصور مرفوض بالنسبة لكارناب، كما أن المعنى الثاني للأخلاق وهو معنى يختلف اختلافا أساسيا عن الأول وهو بوصفه بحث في فلسفة القيم أو المعايير الخلقيّة، والتي يمكن للمرء أن يشير إليه بوصفه أخلاقا معياريّة، فهو بهذا ليس بحث في الواقع وإنما هو بحث مزعوم فيما هو خير وفيما هو خطأ علينا أن نتجنبه ـ يقول كارناب ـ لأن الغرض من هذا البحث إنماّ هو غرض فلسفي أو معياري، فالأخلاق هي التي تحدّد معايير السلوك أو الأحكام الإنسانيّة والتي تدور حول القيم المعياريّة[41]، وهذا أيضا إذن مرفوض بالنسبة لكارناب ولجميع التجربيين المناطقة لأنه لا يمكن النظر إلى الأخلاق على أنها علم معياري.

ولأن للّغة عند كارناب عملين أو وظيفتين « التعبير من

جهة والتصوير من جهة أخرى، ـ وكما يقول ـ نقول عن العبارة اللّغويّة إنها تعبيريّة Expressive حين نريد أن نقول إنها منصرفة إلى إخراج ما يشعر به القائل داخل نفسه من إحساساته أو مزاجه الحالي أو طباعه المؤقتة أو المستديمة ... مما يستحيل على سواه أن يراجعه فيه، لأنه شعوره الذي خاص به كالشعور بالألم او اللّذة مثلا (وهي لغة الأخلاق)، ثم نقول عن العبارة اللّغويّة إنها تصويريّة Representative أو دلاليّة حين نريد القول بأنها قد أريد بها أن تصف شيئا خارجا عن ذات القائل، ولمن شاء أن يراجع هذا القائل في مطابقة الوصف الشيء الموصوف يرى إن كان وصفا صادقا أو كاذبا(وهي لغة العلم)»[42]، ومن ثم لا بدّ من التمييز بين الوظيفة التصويريّة أو الوصفيّة التي يمكن التحكم فيها بغير صعوبة إذ تستطيع أن تغيّر معنى اللفظة الوصفي في أيّ وقت تشاء... لأن المعاني الوصفيّة للكلمات مرهونة باتفاق الناس ولهم أن يغيروها كيف شاءوا، لكنك لا تستطيع أن تغيّر المعنى الشعوري لكلمة معينة بهذه السهولة في نفس القارئ أو السامع، فلا تستطيع بمثل هذا اليسر أن تقول لأحد "أريدك منذ هذه اللحظة"أن تشعر بالرضى أو بالسخط أو بالاشتياق أو بالذكر كلما وردت عليك الكلمة الفلانيّة، ومن هنا كان من الصعب الصعاب أن تجرد كلمة أخلاقيّة من بطانتها الشعوريّة لتدرك عناصرها الموضوعيّة وحدها إن كان لها عناصر موضوعيّة[43]، ولهذا انتهىإلى « أن كل عبارة لا تحيل على كائنات فيزيائيّة هي عبارة خاليّة من المعنى، وهو ما يعنى أن العبارات التي تصف التجارب الذّاتيّة مثل المشاعر والعواطف لا تنتمي إلى هذه اللغة مثلها في ذلك مثل العبارات الميتافيزيقيّة والثيولوجيّة... ويستلزم عدم الاعتراف بها»[44].

وهكذا إذا كان بالنسبة لكارناب لا حدود للمعرفة العلميّة بمعنى أنه لا يوجد سؤال لا يمكن للعلم من حيث المبدأ أن يجيب عنه[45]، أما أخلاقيا فيعني أن للحياة أبعادا أخرى تقع خارج دائرة العلم، فمع أنه لا يوجد ألغاز في العلم يقول كارناب ولكن «يوجد اسئلة من حيث المبدأ غير قابلة للحلّ، على أيّ حال "أحاجي الحياة" ليست أسئلة بل مواقف عمليّة»[46].

أما أيار والذي لم يعد في كتاباته المتأخرة تابعا للتجربية المنطقيّة ولا منكرا للميتافيزيقا بل إن له نظريات ميتافيزيقيّة في وجود العالم الخارجي ومشكلة النفس الإنسانيّة ومشكلة الحريّة ومشكلة المعرفة...[47] ولكن رغم ذلك في بداياته وتماشيا مع تجربيته ومع المطالب الأساسيّة لمبدأ التحقق ومن أجل مواجهة الاعتراضات على وجود قضايا أخلاقيّة سيكون من الأوائل الذين سيقترحون النظرية الانفعالية في الأخلاق، والتي هدف من خلالها إلى أن يبيّن المميزات الخاصة للقضايا الأخلاقيّة، فميز بين الأحكام الخلقيّة الفعليّة والمواعظ الخلقيّة وهي الأوامر ـ وفي رأيه ـ أنه حتى الأولى هي في الأخير تعبير عن انفعال، وفي كلتا الحالتين لا تعتبر قضايا الأخلاق قضايا علميّة تجريبيّة يمكن التثبت منها بالتجربة، ويتفق أيار مع كارناب في القول بأن الأحكام الخلقيّة أوامر وفي القول بأن جميع الأحكام تتميز بخاصتين:انها تعبر عن حالة عقليّة وأنها تؤكد أو تنفي شيئا ما ولكن في النهاية « الأحكام الخلقيّة لا تقرر شيئا واقعيا، وهي مجرّد تعبير عن حالة عقليّة تشير حينا إلى نوع من السلوك مع رغبتنا في أن يتبعه غيرنا من الناس، وعلى ذلك فهي في النهاية أوامر في صورة لغويّة مضللة لا توصف بالصدق والكذب أي ليس لها معنى»[48]، ولهذا « إن قلت لأحدهم لقد "قمت بعمل سيء حيث سرقت ذلك المال" فلم أقل له شيئا أكثر من قولي هذا "أنت سرقت المال"، ومع إضافة القول "قمت بعمل سيّء" لم أعطى خبرا زائدا، فقط أظهرت عدم صواب هذا الفعل عندنا أخلاقيا، ومثل هذا بالدّقة لو تكلمت بلحن خشن معك لتنفر فقلت "أنت سرقت المال" أو "أنني كتبت هذا الخبر وأضفت إليه علامة التعجّب"، فإن اللحن الخشن أو علامة التعجّب لا يضيفان شيئا إلى المعنى الواقعي للجملة، غاية الأمر أنهما يظهران أن حكاية الخبر عن المتكلم صاحبه بعض الانفعالات»[49]، هكذا يؤكّد آيار أن قولنا أن الإنسان الذي سرق "اقترف جرما أخلاقيا"، إن هذا الإنسان الذي اقترف جرما أخلاقيا وهو فعل السرقة لا يقدّم لنا أيّ معلومات عن العالم حولنا سوى أن فلانا قد قام بفعل السرقة، أما ما تبقى من كلام حول كون الفعل المذكور يشكّل جرما أخلاقيّا فلا يعدوا كونه تعبيرا عن إحساس عاطفي نحو الفعل وهو إحساس بالاستياء وعدم الموافقة أو اللوم كما قال سابقا هيوم .

إن عبارات علم الأخلاق حسب آيار هي ببساطة تعبيرات عن الاستحسان والاستهجان الخلقيين،ولكن لا تؤكد تلك المشاعر كما يقول الذاتيون ولو كانت لها تلك الصفة لصارت قابلة للتثبت أو التحقق ومن ثم فهي قضايا حقيقيّة أو أصيلة، إن تلك العبارات تعبر عن المشاعر بالطريقة التي يعبر بها التثاوب عن السأم أو الطريقة التي يعبر بها التنهد عن الاسى[50]، ولكن رغم ذلك يضفي آيار للعبارات الأخلاقيّة وظيفة أخرى وهي أنه هناك فائدة أخرى لعبارات الأخلاق غير التعبير عن المشاعر وهو أنها تثير المشاعر وتحفز على الفعل، وبعض المصطلحات الخلقيّة تستخدم بطريقة لتعطي جملا لتظهر فيها أثر الأوامر، هكذا فإن جملة "إن من واجبك أن تقول الصدق" تعبّر عن نوع من الشعور الأخلاقي حول الصدق، وتعبّر عن الأمر "قل الصدق"، وربما أكثر بقليل وهو أن « أن الحدود الأخلاقيّة لا تعبّر فقط عن الشعور وإنّما تستخدم أيضا لإثارة الشعور والحث على الفعل، فبعض هذه الحدود يستخدم على نحو يجعل العبارة التي يرد فيها تعبّر عن "الأمر" ومن ثم فإن العبارة التي تقول "أن واجبك قول الصدق" قد تستخدم للإشارة إلى نمط معين من الشعور الأخلاقي نحو الصدق، وكتعبير عن الأمر، أمّا عبارة "ينبغي عليك قول الصدق" فهي تتضمن أيضا الأمر"قل الصدق" ولكن اللهجة الآمرة هنا تكون اقل تأكيدا، بينما أصبح الأمر في العبارة "من الخير قول الصدق" أقل من أن يكون اقتراحا بالفعل، وهكذا تتميز كلمة "خير" في استخدامها الأخلاقي عن كلمتي "واجب" و"ينبغي" ويمكننا في الحقيقة أن نقوم بتعريف الكلمات الأخلاقيّة في حدود كل من المشاعر المختلفة التي تستهدف التعبير عنها والاستجابات المختلفة التي تستهدف استثارتها»[51].

أما تشارلز ليزلي ستفنسون" [52] والذي يعدّ أهم مطوري النظريّة الانفعالية فقد استطاع بكتبه ومقالاته أن يكسب لها أرضا على خريطة النظريّة الأخلاقيّة المعاصرة، وهو من الذين سعوا إلى فحص معنى الألفاظ والأحكام الخلقيّة وتحديد منزلتهما المنطقيّة وطبيعة البرهان الخلقي، والتأكيد على أن كل ذلك من مهمة الفلسفة بذاتها، وأكّد على ضرورة إيجاد "نظريّة في المعنى" أكثر شمولا من نظريّة آيار، ويعتبر كتابه "الأخلاق واللغة" أكمل شرحا للميتا أخلاقالانفعالية، رغم أنه في النهاية انتهى إلى ما ذهب إليه كارناب وآيار ولم يختلف عنهما كثيرا.

يرى ستيفنسون أن الطابع الانفعالي "هو السّمة المميّزة لمعنى الألفاظ الخلقيّة" رغم أنه لا ينكر كبقيّة التجربيين المناطقة وجود معنى معرفي للفظ الخير مثلا، بل يعدّ هذا المعنى وحسب ثانويا في مجال الأخلاق بالنسبة إلى الأول، يعرّف ستيفنسون المعنى الانفعاليبأنه «هو الميل الذي يكتسبه اللفظ، عبر تاريخ استخدامه في المواقف الانفعالية، إلى إثارة الاتجاهاتAttitudes أو التعبير المباشر عنها، على أن التعبير عنها متميّزا عن تسميتها والدلالة عليها، ولا تغير الأحكام الأخلاقيّة الاتجاهات في هذا النوع من المعنى باللجوء إلى قوى واعيّة كما هو الحال في الأوامر، بل عن طريق آليّة مرنة، فالألفاظ الانفعالية تعرض المسألة التي تتحدث عنها في ضوء ساطع أو خافت، إن صح هذا التعبير فتقود الأفراد بالتالي إلى تغيير اتجاهاتهم عوضا عن أمرهم بذلك»[53]، إن للمعنى الانفعالي عند ستيفنسون سمة نفسيّة واضحة، ويقارنه « بالتعبيرات عن الضحك أو التنهدات والأنات، والمظاهر المماثلة للانفعالات جميعها، سواء منها اللفظيّة أو الإشاريّة»[54]، إلا أنه أيضا يشبه المعنى الانفعالي بالأوامرImpératives ، وذلك حين يتحدث عن النماذج الفعالة Working Models، فعبارة "هذا خطأ" تعني أنا استهجن هذا "افعل المثل أيضا"، وعبارة "يجب أن يفعل هذا" تعني "أنا استهجن تركه لهذا الأمر افعل المثل أيضا"[55]، يتمثل المعنى الوصفي في الفقرات الدلاليّة Declarative من العبارات السابقة، بينما يتمثل المعنى الانفعالي في الفقرات الأمريّة، ولهذا يحذر ستيفنسون على عكسي آيار في معرض توضيحه لنوعي المعنى من مغبة الفصل بين المعنى الوصفي والمعنى الانفعالي، لأن الاستخدامات المتعددة للّغة لا تتجزأ ولا تنقسم، إن عملياتنا النفسيّة ذات علائق ووشائج قويّة ومشتركة فيما بينها، فالاهتمام بالعناصر الوصفيّة قد يؤدي إلى عقلانيّة أكبر، في حين تهتم العناصر الانفعالية بأهداف ساذجة، وتجهد من أجل ذلك في التخلص من العناصر الوصفيّة للغة، بدلا من تكملتها وتتميمها، مؤديّة بهذا إلى نتائج ساذجة وسطحيّة، ومقطوعة الجذور بالخبرة، فإذا نظرنا مثلا إلى التفكير الأسطوري وجدنا أن العناصر الوصفيّة والانفعاليةتمتزج معا، بطريقة تحمل المضمون الوصفي الضعيف على البقاء مختفيا، وحيث تعاني الأخلاق المعياريّة بالمثل دائما، من خطر التحوّل إلى شبه أسطورة، ومن هنا فإن لا بد من بذل كل جهد لازم للحيلولة دون مناقضة العناصر الانفعالية للعناصر الوصفيّة للغة.

وهكذ يظهر أن ستيفنسون على عكسي آيار وكارناب يرى ضرورة عدم الاستغناء عن المعنى الوصفي في غمرة اهتمامنا بالمعنى الانفعالي في العبارات الأخلاقيّة، ولا يفكر أيضا بالتخلي عن المعنى الانفعالي في خضم عنايته بالمعنى الوصفي، إن المشكلة الأساسيّة في نظره، هي «حمل كلا الاستخدامين للغة على العمل بتوافق، بحيث يحقق كل واحد منهما وظيفته، دون أن يتجاوز حدود هذه الوظيفة»[56]، وبغير هذا الاعتراف بوجهي اللغة الخلقيّة، فإن الأخلاق ستظل في خطر التحول إلى فكر ضبابي اسطوري كما يؤكد ستيفنسون. رغم أنه في النهاية ما يمكن قوله فيماقاله ستيفنسون عن انفعالية القضايا الأخلاقيّة أنه في الحقيقة لم يقدم لنا أية اسباب تسويغه التفسير النفسي، رغم اعترافه بما يتضمنه هذا التفسير من صعوبات، كما أن علم النفس لم يحقق ايّ تقدم ملموس في هذا المجال، كما أدرك بالفعل وفي مرحلة مبكرة ان تصوره السببي لن يلق ترحيبا في أوساط كثيرة، فقال في "الأخلاق واللغة" أن التفسير الحالي للمنهاج سيخفق في اقناع العدد الأكبر من المفكرين المشتغلين في "البحث عن اليقين ذلك أنه ليس للأسباب المذكورة هنا نوع من الالزام المنطقي" [57].

ورغم أن ستيفنسون أيضا مثله مثل أيار أراد تخفيف اللاّعقليّة والعدميّة المميّزة للمذهب الانفعالي لهذا توجّه إلى إثبات الأخلاق وتقديم البرهان المنطقي للأخلاق، فبدأ بتوضيح معنى المفاهيم الأخلاقيّة وبتحديد ذلك الأسلوب الذي نستطيع بمساعدته تفسير طبيعة الأخلاق وإبراز الاختلافات التي ظهرت في حقل الأخلاق، ولكن في الواقع أن ستيفنسون مثله مثل جميعالتجربيين المناطقة أيضا يؤكد مبدأ المذهب الانفعالي العام الذي يقول بأن وظيفة الأخلاق الأساسيّة تنحصر في تغيير مواقف الناس، و«أن الكلمات الخاصة بالقيمة والأخلاق مثل الخير والشر ذات معنى عاطفي وليس لها معنى تصوري»[58]، إن الطابع الانفعالي هو السمة المميزة لمعنى الألفاظ الخلقيّة، وإن كان صحيح هناك معنى معرفيّا إلاّ أنه ثانوي بالنسبة للمعنى الذي يشير إلى قدرة اللفظ على التعبير عن المشاعر والاتجاهات عند المتكلم واستثارتها عند السامع على أساس تمييزه بين التعبير والوصف، ولهذا عنده أيضا « القضايا التي تبدوا فيها هذه الكلمات(الخير، الشر) أفعالا ليست قضايا على الإطلاق وإنما هي مجرّد ألفاظ غير موضوعيّة ليست صادقة ولا كاذبة، لكنها تعبير عن موقف المتكلم ورغبته في تحويل الآخرين إلى موقف مماثل لموقفه»[59].

وإلى جانب هؤلاءنجد أيضاهاربرت فايجل(H.Feigl 1902-1988) الذي يميّز المعاني المعرفيّة التي تنتمي إلى الفلسفة، والأخرى غير المعروفة التي تنتمي إلى الميتافيزيقا، ومن ثم فينبغي استبعادها عن الأبحاث الفلسفيّة وهي كما يحددهاعلى النحو التالي:

معاني معرفيّة	معاني غير معرفيّة
الدلالة الإعلاميّة أو الإخباريّة	التعبير الانفعالي
الصوري الخالص	التصوري (التخيلي)

المنطقي الرياضي الانفعالي و المؤثر

الواقعي التجريبي الإرادي . الباعثي

التوجيهي أو الإرشادي

فمن هذا التقسيم نفهم أن فايجل يجعل التعبيرات الانفعالية وهي الأخلاق عندها معاني غير معرفيّة، وبالتالي لا بدّ من استبعادها من الفلسفة[60]، وهو أيضا مثل كارناب وأيار يوسع من مجال الانفعالات إلى المشكلات الميتافيزيقيّة حيث يقول « أن معظم المشكلات الميتافيزيقيّة وحلولها إنما تعتمد على افتراض خاطئ بأن ثمة معنى في تعبيراتها وهي في الحقيقة ليست سوى استشهادات انفعاليّة»[61]، وهو ما أكده ريشنباخ أيضا حين رأى أنه ليس هناك أي مجال لأخلاق معرفيّة، لأن « التعبيرات اللّغويّة الأخلاقيّة ليست قضايا أو أحكام إنما هي توجيهات، والتوجيه لا يمكن تصنيفه على أساس أنه صواب أو خطأ، فمثل هذه الأوصاف الأخيرة لا تنطبق على التوجيه، لأن الجمل التوجيهيّة لها طبيعة منطقيّة تختلف عن طبيعة الجمل الإخباريّة أو القضايا»[62]، فهي لا تنبئنا بشيء عن الأمر الواقع كما أنّها لا تمثل تحصيل حاصل، وإن كان ريشنباخ يبدي موقفا أكثر ليونة من التجريبيين المناطقة الأخرين فيؤكد « أن الرغبة في إقامة التوجيهات الأخلاقيّة على أساس من المعرفة الأخلاقيّة تبدو رغبة مفهومة، ولكن على الفيلسوف العلمي أن يتخلى عن السعي إلى التوجيه الأخلاقي الذي ضلّل الأخرين فجعلهم يتصورون الأخلاق نوعا من المعرفة التي تكتسب بتبصّر يكشف لنا عالما أعلى، إن الحقيقة تأتي من الخارج، فملاحظة الموضوعات الفيزيائيّة تنبئنا بما يتصف بصفة الحقيقة، أما الأخلاق فتأتي من الداخل فهي تعبّر عما أريده لا عمّا هو موجود بالفعل، هذه هي الوجهة الجديدة التي ينبغي أن تتخذها الرغبات الفلسفيّة عند الفيلسوف العلمي»[63].

ولكن الذي يتفق جميعهم فيه ويؤكدونه أن قضايا الأخلاق تستمدّ قوتها بصورة رئيسيّة من الوسط اللاعقلي، إنها تعتبر مجالا للحواس والانفعالات والغرائز ولكن ليس للعقل، لأن التفكير العقلي ذاته بحسب رأيهم يتعارض مع الأخلاق، إن الأخلاق تتصف باللاّعقليّة كصفة رئيسيّة، ولا يمكن إيجاد أساس عقلاني أخير للغايات النهائيّة للإنسان، ولهذا لا بدّ من إخراج القضايا المعياريّة من دائرة القضايا المعرفيّة وجعلها منوطة فقط بالتزاماتنا وقراراتنا الذاتيّة، والنظر إليها على أنها فوق عقليّة، لا تخضع للمعايير العقليّة مطلقا وبالتالي فلا يمكن الحكم عليها لا سلبا ولا إيجابيا إنها تنفلت من معايير العقل.

لقد انتهى جميع التجريبين المناطقة بالقول بالمنفعة وإن كانت مستترة، فهذا راســـل يقول «بان مادة الأخلاق تباين مادة العلوم لأنها محض مشاعر وانفعالات وليست مدركات حسيّة فالحكم الخلقي أو حكم القيمة لا يقرّر حقيقة واقعة بل يبتعث أملا في شيء أو خوفا منه، رغبة في شيء أو عزوفا عنه، وإن كان كثيرا ما يحدث ذلك كله في صورة مقنعة»[64]، فهنا يظهر أنه لم يختلف كثيرا عن التجريبين المناطقة بحيث يتفقون أن عبارات الأخلاق هي عبارات تعبّر عن المشاعر والعواطف،إنهم « يتفقون بوجه عام في رفض الأخلاق المتعاليّة، أو أيّة محاولة لإقامة عالم القيم يعلوا عن عالم الخبرة الممكنة ذلك لأن القضايا التي تتكلم عن القيم تدخل في نطاق الميتافيزيقا المثاليّة ومن ثم يجب رفضها كشيء لا معنى له»[65]، إنها تتراوح بين أوامر أو وصايا أو كلمات عامرة بالشحنات الوجدانيّة أو العاطفيّة، لأنها بدون مضمون تجريبي وبالتالي فهي ليست في حقيقتها قضايا أو تقريرات على الإطلاق، وعندهم يمكن فقط الحديث حول "علم الأخلاق" كعلم فقط في تلك الحالة عندما تملك القضايا الأخلاقيّة والقيم الأخلاقيّة أساسا موضوعيا عندئذ يستطيع علم الأخلاق أن يوجه إلى ما يجب اختياره وعمله في الحياة بغض النظر عن رغبات أيّ إنسان، ولكن ذلك ما لا يمكن أن يحدث بالنسبة لهم.

إن الأخلاق معهم في النهاية مثلها في ذلك مثل "الميتافيزيقا" وكل محاولة من أجل النطق بشيء ذي معنى عن الأخلاق أو الجمال أو الميتافيزيقا لا بدّ من أن تبوء بالفشل لأن مثل هذه المحاولة تقتضي القيام بمهمة مستحيلة، وهذا على عكس رأي الكثيرين كليا وعلى سبيل المثال جورج مور الذي كان مقتنعا بأن الاختلافات السائدة في الأخلاق يمكن العمل على استبعادها، وأن هناك إمكانيّة الكشف عن الحلول الصّحيحة للمشكلات الأخلاقيّة الأساسيّة التي يمكن أن تقوم عليها الأخلاق العلميّة الحقة [66] وهذا ما يرفضه التجريبيون المناطقة، وهم حتى عندما يذهبون إلى الاعتراف لها بنوع من المعنى فليس ذلك المعنى الذي تملكه القضايا التقريريّة.

ويصبح عند كارناب وأيار وراسل وريشنباخ الأخلاق مجال من مجالات علم الاجتماع وعلم النفس« فالفيلسوف العلمي حين يصنف علاقات اللزوم الأخلاقيّة بأنها معرفيّة، يستبعد مناقشة هذه العلاقات من مجال الفلسفة ويجعل لها مكانا داخل العلوم الاجتماعية، فالتحليل المنطقي للأخلاق شأنها شأن علم الفيزياء، يدل على أن كثيرا من المسائل التي كانت تعدّ فلسفيّة ينبغي أن يجيب عنها العلم التجريبي وإن تاريخ الفلسفة ليثبت مرارا وتكرارا أن الاسئلة التي توجه إلى الفيلسوف تنتقل إلى العالم، وفي هذه الحالة لا بدّ أن تصبح الإجابة أعمق وأقوى ضمانا وعلى من يلتمسون لدى الفيلسوف توجيها في الحياة أن يشكروه، إذا أحالهم إلى علم النفس أو العالم الاجتماعي إذ أن المعرفة المكتسبة في هذين العلمين التجريبيين تبشر بتقديم إجابات أفضل بكثير من تلك التي تكدست في كتابات الفلاسفة»[67]. و يمكن تلخيص رأي التجريبيين المناطقة بقول آيار « إن الفهم البشري يقضي على نفسه في خضم الإحالات المنطقيّة عندما يغامر خلف نطاق حدود التجربة الممكنة»[68].

بهذافالأخلاق عند الوضعيين المناطقة لا تتأسس لا على أساس علمي أو ميتافيزيقي وأمور الواقع التجريبيّة ولا حتى ديني والذي يكمن في سلطة الله، لهذا فالأمور التي نقوم بها ونعتقد

أننا نقوم بها لأنها في اعتقادنا أنها أخلاقيّة فذلك لأنه كما يقول آيار« أننا حينما نتتبع نظاما أخلاقيا معينا وننظر إليه نظرة ثقة، فإن هذا لا يعني أكثر من أننا ننفذ قرارا أخلاقيّا ومرشدنا في ذلك هو ما نشأنا عليه ووجدنا أنفسنا نتبعه، لا توجد مستويات موضوعيّة للأخلاق نستطيع بواسطتها الحكم على أحكاما أخلاقيّة مغايرة بأنها خاطئة، بمعنى أننا إذا وجدنا آخرين يتبعون غيرها لم نستطيع أن نبرهن لهم على خطئها، أقصى ما نستطيعه هو أن نوضح لهم أن مبادئهم ليست متسقة معا، أو أنها قائمة على افتراضات واقعيّة خاطئة أو على استدلالات خاطئة أو أنها تؤدي إلى نتائج لا يمكنهم اتباعها، وهنا يزول الفارق بين موضوعيّة الأخلاق وذاتيتها لأنه بينما يقف دعاة الذّاتيّة عند حدّ الاقتناع بمبادئهم الأخلاقيّة دون غيرها، فإن دعاة الموضوعيّة إنّما يعتمدون على الحدس في تقرير وجود قيم مطلقة، فلا سبيل لدى كلاهما أن يثبت أن مستوياته الأخلاقيّة هي الصحيحة دون غيرها»[69].

إن التجريبيين المناطقة لا يعترفون بوجود إله على المستوى الطبيعي وذلك حسبهم لافتقارنا إلى الأدلّة الماديّة الحاسمة على وجوده، وهذا الاعتقاد كما يزعمون نتيجة أسفرت عن مقدّمات منهجيّة علميّة يقوم أساسا على رفض الميتافيزيقا بما فيها مفهوم الإله.

وخلاصة قولهم إنّه يمكن تقسيم المصطلحات والكلمات إلى انفعاليّة وغير إنفعاليّة، بحيث تستعمل الطائفة الأولى منها لبيان الأحاسيس والانفعالات الداخليّة، وأما الثانيّة منها فليست لها هذه الخصوصيّة، هي واقعيّة تشير إلى كلمات ذات محتوى تجريبي أو تحليليّة ولا يلاحظ فيها شعور وإحساس المتكلم وشعوره، وإن كان هذا كله معناه عودة آيار كما سبق وقلنا وبعض التجريبيين المناطقة الخوض في موضوعات الفلسفة التقليديّة والتي كان من قبل يدرجونها ضمن الميتافيزيقا، مثل موضوعات الأخلاق، الخير والدين وعلاقاتها بالله، و إن بقوا حرصين على معالجة تلك المشكلات متسقا مع ما يقوله العلم، ولكن بدى أن حرصهم الشديد أدى إلى عكسه، ولكن يبقى ما أرادوا الحرص على تبيانه من هذا التحليل المنطقي هو حذف علم الأخلاق من ميدان العلوم، لأنه وحسبهم لو كان المراد به أن يبحث فيما يجب أن يكون عليه السلوك الإنسان "ما يجب" أن يكون ليس كائنا بتعريف كلمة "يجب" والعبارة التي تحتوي على علم كلمة "يجب" هي بمثابة الأمر الذي يأمرنا بفعل هذا أو بترك ذاك، وإذن فالعبارات الأخلاقيّة بهذا المعنى لا تصلح أن تكون قضايا، لأنها لا تصلح أن توصف بالصدق أو بالكذب، إذ هي لا تصور شيئا واقعا، حتى تتمكن من المطابقة بين التصوير والواقع المصوّر، ولكن من جهة أخرى في الواقع كما يظهر أن الوضعيين وعلى رأسهم آيار لا يستهجنون جمل الأخلاق قدر استهجانهم الجمل الدينيّة، ولهذا جاءت هجوماتهم على الفلسفة التقليديّة أقل من تلك التي شنها فلاسفة اللّغة العاديّة من جهة والسلوكيّة والفيزيائيّة من جهة أخرى[70].

5ـ الجوانب السلبية في النظرية الانفعالية التي تبناها فلاسفة التجريبية المنطقيّة

لقد تبنى التجريبيون المناطقة النظرة الوقائعيّة للمعرفة، والعلم ضمن إطار هذه النظرة هو مصدر للتنبؤات والمعلومات التي يمكن توظيفها لخدمة أغراضنا العمليّة، ولكنهم تناسوا « إن كان فعلا العلم هو الذي يزودنا بالمعرفة اللاّزمة لتقرير الوسائل الضروريّة لتحقيق غايات معطاة مسبقا، ولكن هذه الغايات ليست موضوعا لأيّ نوع من المعرفة، إنها نتيجة التزاماتنا وقراراتنا التي لا تقوم على أساس موضوعي وعقلي»[71]، ولهذا في النهاية يؤكّد الكثيرين من المعارضين لهذه المدرسة أنها ليست بأكثر من نوع خاص من الميتافيزيقا مفتوح أمام كل ما لا يمكن التيقن منه، فهي تقوم على تصوّر خاص للحقيقة والواقع والإنسان قد افترضته مقدّما دون مبرّر أو دليل، وذلك باجترائها للحقيقة إجتراء تجعل منه القاعدة والمبدأ، وهيّ تقوم على نزعة إنكار العقل ورفض دعاواه[72]، وبالتالي فهي على عكسي ما زعم أنصارها، وبذلك تكون ابتعدت كثيرا على مصالح الفرد والمجتمع.

وهم إذا نظروا في العلوم المعياريّة وأبعدوها من مجال العلوم العلمية وجعلوها منوطة فقط بالتزاماتنا وقراراتنا الذّاتيّة، لأنها فوق عقليّة لا تخضع للمعايير العقليّة مطلقا وبالتالي فلا يمكن الحكم عليها لا سلبا ولا إيجابا، إنها تنفلت من معايير العقل رمة لأنه وبالنسبة لهم « إذا كان لدراسة علم الأخلاق أن توجد على الإطلاق، فإنه يتوجب على هذه الدراسة أن تكون نوعا من دراسة لما نحب وما نكره فلا نظام أخلاقي يمكن أن يكون صائبا ولا نظام أخلاقي يمكن أن يكون مخطئا، وكل ما يمكن أن يكونه علم الأخلاق هو قائمة بما نحب وما نكره»[73]، ولهذا فموقفها هذا لم يوصف فقط بالموقف الإختزالي ولكن أيضا وصف بالشك الجزافي واللاأدري، ولهذا نجد بيري بارتون Perry.Rallph Parton(1876-1957) ينتقدهم في كتابه "إنسانيّة الإنسان" ويرى أن هذه الفلسفة الوضعيّة خاصة والعلم عامة بأنه نقيض لروح الاستقصاء الحر« وذلك لضيق أفقها واعتقادها الخاطئ بأن الحقيقة الجزئية هي كل الحقيقة»[74]، كما يقدم في كتابه "القيم في الواقعيّة" الكثير من الانتقادات والتعليقات على هذا الاتجاه وموقفها من الأخلاق والقيم عامة.

وحتى برتراند راسل وهو الذي تبنى في بداياته هذه النظرة الاختزالية ينتقد موقفه ذلك وموقف التجريبيون المناطقة عامة قائلا « من أجل هذا ينبغي أن ينظر إلى مستقبل المجتمع العلمي في توجس، فالمجتمع العلمي في صورته الخالصة، وهي التي كنا نحاول رسمها لا يتسق مع البحث عن الحقيقة، ولا مع الحب ولا مع الفن، ولا مع المتعة المخلصة، ولا مع أي شيء من هذه المثل العليا التي اعتنقها الإنسان حتى الآن، فيما عدا مثل واحد منها وهو التقشف»[75]، وليعيد الإعتبار للقيم وللعلوم المعياريّة ما انتزع منها وليؤكد أن تلك المقارنة بين العلم والقيم ليست في محلها يؤكد «... فالعلم لا يستحق

هذا الإعجاب مهما قاد الناس بمهارة وكياسة في الطريق إلى اليأس، إن مجال القيم يخرج من نطاق العلم، إلا من حيث ان العلم بحث عن المعرفة، أما العلم من حيث هو بحث عن المقدرة فيجب ألاّ يتطفل على مجال القيم، وإذا شاء المنهج العلمي أن يكون فيه إغناء للحياة البشريّة فقد وجب الا ينتحل لنفسه وزنا يفوق وزن الغايات التي ينبغي له أن يخدمها»[76]، لهذا في النهاية يظهر له أن « حياة الوجدان أهم من المعرفة ذاتها، فالعالم بغير بهجة وغير حب هو عالم تجرد من القيم، إن هذه الأمور يجب أن يذكرها مطبق العلم، ولو قد فعل لكان عمله خيرا خالصا»[77]، وأكيد هذا التوبيخ ليس موجه إلا لأنصار العلم عامة ولأنصار التجريبية المنطقيّة خاصة.

إن التجربيين المناطقة بموقفهم ذاك ما يريدونه في الحقيقة هو تضليل الشعوب، وهذا ليس رأي المفكرون العرب فقط ولكن حتى الكثير من الغربيين يرون أنه معهم «أصبح علم الأخلاق لم يعد موجودا كعلم طالما أنهم يعتبرون أن مادته هي تحليل الكلمات في الحكم الأخلاقي وليس الأفعال، وبالتالي فهو لا يتناول أيّة مسائل غنيّة المضمون»[78]، إن كل ما قاموا به أنهم هدّموا الأخلاق ولم يضعوا أية أسس لأعداد نظام جديد لعلم الأخلاق وخاصة مع الانتقادات التي ستوجه إلى نظريتهم الميتاأخلاقيّة.

إن التجريبية المنطقيّة مثل سليلتها التقليديّة فلسفة تريد أن « تقصي الله من واقع الحياة البشريّة ليصبح الإنسان إله الكون الوحيد»[79]، إنهم فلاسفة «غالوا كثيرا في القول بنسبيّة الأخلاق حينما ساووا بين العادات الأخلاقيّة المتغيّرة في كل قطر وفي كل أمّة وفي كل عصر وبين القاعدة الأخلاقيّة الثابتة»[80]، إنهم ينفون واقعيّة الأخلاق، بل يتجاوزون إلى نفي إمكان توافر شروط من أيّ نوع يمكن في ظلها القول بوجود أخلاق موضوعيّة أو وجود حقائق خلقيّة، والحقيقة أنه حتى الأخلاق البديلة التي دعت إليها وهي(أخلاق التضامن) كما ظهر لنا مع آيار وستيفنسون القائلين بالنظريّة الانفعالية، ليست علميّة بقدر ما أنها ليست أيضا أخلاقيّة، ولهذا عند الكثيرين من النقاد هذه الفلسفات الوضعيّة علامات الإفلاس في تقرير ما ينبغي على الإنسانيّة أن تسلكه في مسيرتها الكبرى، وهذا الإفلاس هو ما تمثل أخيرا في إفلاس مسيرة الحضارة المعاصرة التي التزمت بهذه النظرة الأخلاقيّة الوضعيّة، في التزامها بوصفيّة علم الأخلاق الوضعي عند الوضعيين التقليديين و تجنبهم للمعياريّة القيميّة عند الوضعيين المناطقة.

إذا حاولنا أن نمضي في تبيين سلسلة الأخطاء التي ارتكبها أصحاب هذا المبدأ، وكما بيّنها الكثير من المفكرين وجدنا أنهم ينسبون قيمة الصدق Truth-valueإلى العبارة وليس إلى الحكم Assertion أو القضيّة Statement التي نعرب عنها في تلفظنا بالعبارة، وقد أدى هذا إلى مهالك لم يستطيعوا أن ينجوا منها، فاذا قلت 'أنا متعب' فهل هذه العبارة صادقة أم كاذبة؟ ان المرء كما يظهر لنا في الواقع قد يقول صدقا بتلفظه بها في مناسبة أو كذبا في مناسبة أخرى، وحين نعد العبارة حامل قيمة الصدق، فستكون عندئذ صادقة وكاذبة في نفس الوقت، أما إذا نسبنا قيمة "الصدق" إلى الحكم أو القضيّة، و"المعنى" إلى العبارة فان وحسب معظم التجريبيين المناطقة كل المشكلات تختفي لأننا قد نكون قد ميزنا بين المعنى الذي للعبارة بذاتها، وبين الصدق أو الكذب الخاص بالحكم الذي تعرب القضيّة عنه، علينا اذن أن نعدل في المعيار ونعطيه صياغة مثل: " ليس للعبارة معنى إلاّ إذا امكن استخدامها في حكم، ولا يمكن استخدام العبارة في حكم إلاّ إذا أمكن تحديد طريقة ما لاثبات الحكم أو تفنيده".

وإذا تساءل سائل هل يكفي هذا التعديل كي يصير معيار المعنى سويا؟ إن كل الاجابات على هذا كانت بالنفي ذلك أن في اللغة عبارات ذات معنى، إلاّ أنه ليس في وسعنا استخدامها في تكوين حكم أو قضيّة، ومثال ذلك العبارات الاستفهاميّة، والأمريّة والتعجبيّة، التي نستخدمها في السؤال والطلب، والتعبير عن الاتجاهات والمشاعر وليس لهذه العبارات علاقة بقيمة الصدق، أي أن معيار المعنى، إذا فهم على أنه يعني امكانيّة التحقيق فانه لا يصلح معيارا لهذه العبارات ذات المعنى، وهذا ما يحول دون كونه في الحقيقة معيارا عاما للمعنى، بل مجرّد معيار لمدى ملائمة العبارة لأداء نوع معين من الفعل.

إذن معيار المعنى محدود وقاصر، وهذا ما حمل بعض فلاسفة اللغة على اقتراح معايير أوسع منه، بحيث يصبح للعبارة معنى حيثما تكون ملائمة لأداء نوع معين من الفعل الأدائي illocutionary، والفروق بين المعاني فروق في الأفعال الأدائيّة المتضمنة فيها[81].ولهذا رغم كثرة المحاولات التي كرّس لها التجريبيون المناطقة في التاريخ الأخير لهم من مجهودات لتعديل هذا المبدأ ـ وهي كثيرة تلك الصعوبات التي لقاها هذا المبدأ نفسه ـ إلاّ أنه تهافت ولم يصمد أمام الإنتقادات.

ثم من جهة أخرى نجد لو تأملنا قليلا في « القضايا التي ناقشتها هذه المدرسة جلّها تتعلق بأمور لا تجري في الواقع، إنها تبحث مثلا في الوجود العام والوجود الإلهي بالذّات، فيما يجب أن يكون عليه السلوك، وتبحث في المعيار الواجب أن يكون في الشيء الجميل ليكون جميلا، وكل هذه الأمور ليست مما نلتقي به في الواقع، ومن ثم فإن القضايا التي تتناول مثل هذه المشكلات ليست فقط قضايا خاطئة أو كاذبة بل وكما يسميها أنفسهم المناطقة التجريبيين فارغة من المعنى لأننا لا نستطيع أن نصفها بالصدق أو الكذب»[82] رغم ذلك بحثوا وأمعنوا النظر فيها.

اهتم التجريبيون المناطقة بتحليل قضايا العلم تحليلا منطقيا، أي تحليل المفاهيم والبراهين والنظريات دون أي اعتبار لما ذكر سابقا، إن دورهم في الفكر الإنساني كما يقولون هو تحليل المفاهيم اعتقادا منهم بأنهم بذلك العمل يزيدون العالم وضوحا، لقد فصلوا بين المعرفة العلميّة وبقيّة نشاطات الفكر البشري، وإن كان يمكن « اعتبار هذه الدراسات ضروريّة كشرط تمهيدي لتحليل المعايير الأخلاقيّة والمبادئ وسلوك الناس العملي، وكان لا بدّ من دراسة مناقشاتهم»[83]،

وإن كان من جهة أخرى هناك من يؤكد أنه عندما يعترف التجريبيون المناطقة للأخلاق والقيم بالذّاتيّة، فإنهم يعترفون لهذه الأخيرة بالوجود لأنه « إن تساءلنا عن كنه هذه الذّاتيّة فنحن نتحدث عن الإرادة أو حريّة الإرادة والفعل»[84]، ولكن رغم ذلك بهذا الموقف الذي تبناه فلاسفة هذه المدرسة أضيفت إلى النزعات اللاّأدريّة كما ذركنا التي تنفي وجود قيم خلقيّة في العالم الموضوعي وهي على عكس النزعات التي تتبنى ما يعرف بالنظريّة الواقعيّة الأخلاقيّة، وهم أيضا على عكسي بعض الفلاسفة والذين إن كانوا لا يتبنون النظريّة الواقعيّة في الأخلاق ولكنهم مع ذلك لا يجردون الأخلاق من أي أساس عقلي وبالتالي لا ينفون وجود حقيقة أخلاقيّة، وبهذا الفرق الذي زعمه التجريبيون المناطقة بين العلم والفلسفة، أن هذه الأخيرة معنيّة بالقيم بينما الأول لا شأن له بها انتقدهم الكثيرون، وأوّل شيء استنكروه عليهم بأنهم تناسوا ثمّة قيم يقوم عليها بناء العلم نفسه، وأن هناك تبادل خلاق بينهما، فالعلم بدون فلسفة تجارب عشوائيّة متناثرة، والفلسفة بغير العلم تجريد عقيم، وتبقى دائما الفلسفة حارسة للقيم ومجالا لدراستها، ويبقى كما يؤكد الكثير من المفكرين أن كل المذاهب الفكريّة في الحقيقة هي فروض مشحونة بالقيمة سواء صرحت بذلك أو أنكرتها.

لهذا في النهاية يظهر « أن أنصار المذهب الانفعالي يناقضون أنفسهم عند كل خطوة، فهم يحاولون التأكيد على أنّه إذا كان الإنسان يشعر هكذا وليس بشكل مغاير فإن ذلك يكفي لأن نعتبره حكما صحيحا موضوعيا، وانسجاما مع تصوراتهم، فقد تكوّن الارتياح الأخلاقي للفرد ولمشاعره تحت تأثير ليس الظواهر القائمة موضوعيا بل بتأثير الصفات المفروضة التي وهبها الفرد لهذه الظواهر»[85]، وهم بهذا لا يعرقلون حلّ النزعات والخلافات الأخلاقيّة القائمة فقط بل ويزيدون في حدتها، وبالتالي فهذا الموقف غير قادر على التأثير على تحسين الوضع الأخلاقي، كما أن في هذه الحالة لم يعد علم الأخلاق يخدم تقييم أعمال الإنسان، أفعاله وسلوكه، إن الأخلاق مع التجريبية المنطقيّة وجميع أنصار المذهب الانفعالي بهذه الطريقة أمست تافهة وباطلة.

إن النقص الكبير الذي يظهر في هذه النظريّة أنها لم تتمكن من الكشف عن جوهر العلاقة بين الأحكام الأخلاقيّة وسلوك الناس، والأكثر من ذلك أنهم شوّهوا طبيعتها لأنهم وجّهوا الاهتمام الرئيسي إلى طريقة التعبير عن الأحكام وإلى طريقة استعمال الكلمات الأخلاقيّة لتحليل الأحكام الأخلاقيّة ولكن ليس إلى ذلك المعنى الذي تضمنته هذه الأحكام بالفعل[86]. إن القسمة إلى وصفي وانفعالي، تقريري وتعبيري هي التي هبطت بالحكم الخلقي إلى مستوى الاستجابة الغريزيّة وبانهيارها، إن النظريّة الانفعاليّة تنحل إلى مجرّد صورة من المذهب الطبيعي الذّاتي، وإن كان كذلك مور مؤسس المنهج اللّغوي Linguistic في دراسة الأخلاق، لكن الأكيد أن التجريبيون المناطقة سوف ينحرفون بالأخلاق عن موضوعها الأصيل وهو السلوك الإنساني إلى الاهتمام باللّغة الأخلاقيّة، اهتموا بالتحليل الكلمات والتصورات والمفاهيم الأخلاقيّة، لأن غايتهم ورغبتهم الملّحة في كشف الحقيقة وتجنب الخطأ والخلط، فإصرارهم على ضرورة التحليل الدقيق لمعاني الكلمات كما ترد بالفعل في العبارات الفلسفيّة لتحقيق الوضوحوالتمييز، فهم يعترفون بضرورة التحليل كمنهج فلسفي وأنه الأداة الأنجع لحلّ المشكلات الفلسفيّة، وتتناقض نظريات الأخلاق البعديّة مع الأخلاق المعياريّة التي هي فرع من الفلسفة الأخلاقيّة التي تبحث في مضمون الأخلاقيات، وغايتها وفضائلها ورذائلها ومبادئها، وتبحث في الكيفيّة التي يمكن أن تتألف بها المتطلبات الأخلاقيّة أو تتصارع كما تبحث في كيفيّة توضيح الصراع الأخلاقي وربما في حل هذا الصراع.

ولكن أيضا من جهة أخرى أنه على الرغم من الطابع السلبي لنظريّتهم، فقد نبهوا اهتمام الفلاسفة على التأثيرالانفعالي للغة الخلقيّة، مما أدى إلى تزايد الاهتمام بكيفيّة استخدام الالفاظ الخلقيّة في الواقع، كما لفتوا النظر إلى "الطرق غير العقليّة للأقناع" مبينين أن كثيرا من أحكامنا القيميّة لا يعبر عن فهم واضح للقيم الإنسانيّة قدر تعبيرها عن مصلحة فرد أو جماعة معينة، ولقد وضعوا منهجا تفحص على ضوئه عباراتنا القيميّة.

وهكذا رغم كل تلك النقائص لم يمنع أن يجد بعض المفكرين لهذه المدرسة إيجابيات، حتى أن البعض ذهب إلى أن قول أنصار هذه الفلسفة بأن الأحكام الأخلاقيّة مجرّد انفعالات هو من جهة «يسعون بشكل ما لتقريب الأخلاق من الإنسان، وربط الأحكام الأخلاقيّة والمفاهيم بسلوكه، إنها دعوة إلى إعادة تنظيم عمق الأحاسيس الإنسانيّة، والانفعالات والثقة بها، وربما يفهم الكثيرون أنها دعوة لاسترجاع التصوّر حول الإنسان المزدهر الذي لا يخفي مشاعره عن الآخرين وحول العلاقات الواقعيّة المتبادلة بين الناس، والتي ليس لها معنى بدون التعبير عن المشاعر والانفعالات، وبدون الارتباطالانفعالي، ولكن لا يجوز أن ننسى عند ذلك أن الانفعالات ومعاناة الإنسان مرتبطة ليس فقط ولا بهذه الدرجة بالوسط الأخلاقي بقدر ما تعتبر انعكاسا لظروف الأحكام الأخلاقيّة إلى التعبير عن الانفعالات فقط فهم بذلك لا يقدمون المسوغ للخلاف بين ميدان الأخلاق والظواهر الماديّة التي تقع خارجها»[87].

وإن كان من جهة أخرى أن الاعتراف بالمعنى الانفعالي في الحكم الأخلاقي خطوة متقدّمة عمليا بعض الشيء بالمقارنة مع آراءمور الذي تحدث عن وجود الصفات الخرافيّة والمجهولة والغير طبيعيّة فيه، القائمة بذاتها خارج الظواهر الواقعيّة والأفعال[88]، وهذا ما دفع بالعديد من الفلاسفة من الأوربيين والغير الأوربيين للدفاع عن المذهب الانفعالي كنظريّة مدعوّة لأعاده تنظيم عمق الأحاسيس الإنسانيّة للانفعالات والثقة بها، وعدم إخفاء المشاعر عن الآخرين وحول العلاقات المتبادلة بين الناس، والتي ليس لها معنى بدون التعبير عن المشاعر والانفعالات « ولكن لا يجوز أن ننسى عند ذلك أن الانفعالات ومعاناة الإنسانمرتبطة ليس فقط ولا بهذه الدرجة بالوسط

الأخلاقي بقدر ما تعتبر انعكاسا لظروف الحياة، ولذلك فعندما يقود أنصار المذهب الانفعالي الأحكام الأخلاقيّة إلى التعبير عن الانفعالات فقط، فهم بذلك لا يقدمون المسوغ للخلاف بين ميدان الأخلاق والظواهر الماديّة التي تقع خارجها»[89].

الخاتمة

هكذا أرادت منا التجريبية المنطقية أن نفهم الأخلاق، ولكن بعد أن ظهرت تيارات نقديّة شديدة واجهتها ولا حقتها في كل مجال علمي، تراجع أنصارها وعللّوا منمواقفهم إلى حدّ كبير، ولهذا نلاحظ في عصرنا هذا وفي العالم كله سيادة والاهتمام الكبير بالقيم والأخلاق، « لأنه اهتمام بمصير الإنسانيّة ذاتها، وخاصة بعد الحربين العالميتين، وفي ظل الصراعات الدوليّة الواقعة، ومن هنا كانت سمة الفلسفات المعاصرة كلها الاهتمام بالقيم، حيث ترتبط مشكلة القيم في نظر الفيلسوف المعاصر بمشكلة المصير، فلا يعود الفيلسوف سوى مجرّد حكيم يتكلم بلسان البشريّة وينطق باسم القيم الإنسانيّة»(90)، وقد انعكست هذه الحقيقة على المستوى العالمي، إذ تلاقي القيم والقيم الخلقيّة خصوصا ترحيبا خاصا على المستوى العالمي، وتعقد لها مؤتمرات خاصة وندوات عديدة تترجم هذا الاهتمام المتزايد للإنسان المعاصر بالقيم والأخلاق مع أكيد الاهتمام الشديد لديهم بقيم المنفعة أيضا.

والخلاصة وكما يؤكد تولمن(Toulmin.S.E(1922-2009*** وآخرون كثر قد اساءت النظرية الانفعالية وصف تصوراتنا الخلقيّة... لانطلاقها من فرضيات زائفة، وحين تبين امتعاضها للوقائع أهدرت جهودها في محاولات عقيمة للقيام بالتعديلات المطلوبة. ولهذا يؤكد هؤلاء المعارضين لهذه النظريّة الانفعالية أنها في الأخير ما هي إلاّ باعثة على الجرأة والتفلت وعدم التقيّد بأيّ قيد أخلاقي وحيث أن الالتزام بها لا يلزم أتباعها برعاية أي قاعدة فإن كان طبع الإنسان المتمرّد يميل إليها، والتجريبيون المناطقة بنظريتهم تلك كل ما أرادوه هو تشيء الوعي الإنساني وإغفال القيم باعتبارها ـ لديهم ـ غير قابلة للتحقق من صحتها تجريبيا وأنها تهدد العلم مثلما تهدد الميتافيزيقا.

المصادر و المراجع

1- جون ديوي، الطبيعة البشريّة والسلوك الإنساني، تر محمّد لبيب النجيجي، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، 1963، ص ص 109-110.

2- صلاح قنصوة، نظريّة القيمة في الفكر المعاصر، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1986، ص 248.

3- محمد محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعيّة والمعياريّة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن وم أ، ط4، 2008، ص51.

4- جمال حمود، المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة برتراندراسل نموذجامنشورات الإختلاف، دار رمان، الرباط 2011، ص219.

5-R.Garner and B.Rosan, Moral Philosophy: A Systematic Introdiction to Normative Ethics and Meta-ethics, Macmillan,1st edition, 1967, chapter 13.

6-Berkely.G, A Treatise concerning the principles of human knowledge. Edited by David R. Wilkins, 2002, paragraph 20, « the communicating of Ideas marked by words is not the chief and only end of language as iscommonly supposed, the esciting to, or deterring from an action, the putting the mind in some particular Dispotion … » .

7-William K.Frankena, Value and Valuction.in Paul Edwards (ed), the Encyclopedia of Philosophy , vol 8, newYork : Macmillan and Free Press, 1967(8-229), p 232.

8-Warnok.M, Ethics since 1990 ,Oxford University Press , NewYork.3ed, pp50 - 84.

9- عادل ضاهر، نقد الفلسفة الغربية الأخلاق والعقل، دار الشروق، عمان الأردن،ط1، 1990، ص20 -21 .

10- كارناب ر، البناء المنطقي للعالم والمسائل الزائفة للفلسفة، تر يوسف تيبس، مكز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط 1، 2011، ص 54.

11-Carnap.R. The Logical Syntax of language, trans . Amethe Smeaton, ed .Harcourt, Brace and company, New York, 1937, p 278 .

12-Picard.J.Pascal.G."Cours de philosophie la logique et la moral, Editions Bordas, Tomll.1964, p 196.

13- إسلام عزمي، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1980. ص 118-120.

14- محمد مدين، محمد مهران، مقدّمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة، المنصورة، ط3، 1990، ص 212.

15- راسل برتراند، تاريخ الفلسفة الغربيّة، ج3، في آخر الفصل الأخير.

16- راسل ب، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، تر عبد الكريم أحمد، حسن محمود، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1946، ص 17.

17- ريشنباخ. ه، نشأة الفلسفة العلميّة، تر: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1979، ص342.

18- نفس المصدر، ص 242.

19- نفس المصدر، ص265.

20- نفس المصدر، ص 249 – 251.

21-Passmore.John,"Logical Positivism", in Edwards (Ed). The Encyclopedia of philosophy , vol 5 , New York, Macmillan, 1967, p54.

22- محمود زكي نجيب ، نحو فلسفة علميّة، القاهرة، ط1، 1958، ص ص 359- 362.

23- ريشنباخ. ه، المصدر السابق، ص 257.

24-Ayer .A.j."Langage, Truth and Logic", victor Gollancz Ltd, , London, 1956,p 112.

25- أحمد عبد الحليم عطيّة، القيم في الفكر الغربي المعاصر، دار الثقافة العربيّة، 2008، ص41.

26-Macdonald.G,Wright,(ed).fact, Science and Morality, Essays on A.J.Ayer's Language Truth and Logic, New york.1987, p291.

27- زكي نجيب، موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، بيروت، ط4، 1993 ص ص113-114.

28- كارناب رودلف، الأسس الفلسفيّة للفيزياء مدخل إلي فلسفة العلوم، ترجمة السيّد تفادي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1966.، ص 11.

29- عادل ضاهر، المرجع السابق، ص 24.

30-شفارتزمان، الأخلاق البرجوازيّة في العصر الحاضر الوهم والحقيقة، تر محمد شعبان ، دار دمشق، ط1، 1986، ص20.

31- أج آير، الفلسفة في القرن العشرين، تر بهاء درويش و إمام عبد الفتاح إمام،ط1، دار الوفاء ، 2006، ص 84.

32-Ludwig Wittgenstein.Tractatuslogico-philisophicus suivie de investigations philosophiques, traduit de l'Allemand par pierre Klossowski, introduction de Bertrand Russell, édition Gallimard, 1961, 6 ,52.

33- أحمد عبد الحليم عطيّة، القيم في الفكر الغربي المعاصر، ص 42،43.

34-Ibid, Ludwig Wittgenstein, Tractatus, p 183, (6.421).

35-Ibid, p 183,(6.42).

36-Ibid, p 63 ;(4.003).

37-Passmore. J. Logical Positivism. p 54 .

38-Carnap.r. philosophy and Logical syntax. translated by Amethe Smeaton (Countess Von Zepplin). Kegan Paul. Trench. Trubner and Co Ltd. 1937.p 24 .

39-Ibid.p 24-25.

40-White.Morton. Logical Positivism. In The Age of Analysis 20The Century Philosophers. Mifflin Co. NewYork. 1955. pp 216-217.

41-Carnap.R. Philosophy and Logical Syntax. p 25-27.

42-Ibid;pp 26.27.

43- زكي نجيب محمود، موقف من الميتافيزيقا، ص131.

44- كارناب، البناء المنطقي للعالم و المسائل الزائفة في الفلسفة، ص92.

45- نفس المصدر، ص520.

46- نفس المصدر، ص 530.

47- محمد فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2000 ص134.

48- أحمد عبد الحليم عطيّة، القيم في الفكر الغربي المعاصر، دار الثقافة العربيّة، 2008، ص 43.

49-Ayer Aj.op.cit.L T L.p 107.

50-McGrath.P. The Nature of Moral Judgement….London and Melbourne. Sheed and Word Stagbooks.1967.p 24.

51-IbidAyer .A.j."Langage. Truth and Logic".p108.

52- أهم مؤلفات ستيفنسون:

-The Emotive Meaning of Ethical Terms(Mind 1937) .

-Persuasive Definitions(Mind11938).

-Ethics and Language (yale U.P.New Haven.1944).

-facts and Values (yaleMu.P.New Haven.1963).

53-Stevensin.Ch. Ethics and Language. New Haven. yale University Press. 1944. p33.and in the Stevenson Charles. The Emotive Meaning of Ethical Terms. In Logical Positivisme.p273.

54-Ibid.p37.

55-Ibid.p21.

56-Ibid.pp234-335.

57-Stevensin.Ch. Ethics and Language. pp30-31.

58- محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربيّة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998، ص 45.

59- نفس المرجع، ص 46.

60- Stevensin.Ch. Ethics and Language .p 379.

61-Feigel.H.Logical Empiricism.in RunesDagobert D editor. Twentieth century philosophy. living schools of thought. University of California. NewYork. 1943. p 379.

62- ريشنباخ.ه، نشأة الفلسفة العلميّة، ص ص 242 -245.

63- نفس المصدر، ص 266.

64- راسل برتراند، المجتمع البشري في الأخلاق و السياسة، تر عبد الكريم أحمد، مر حسن محمود، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1946، ص 17.

65- زكي نجيب محمود، نحو فلسفة علميّة، 362.

66- محمد مدين، جورج إدوارد مور بحث في منطق التصورات الأخلاقيّة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1986، ص95.

67- ريشنباخ، نشأة الفلسفة العلميّة ، ص 275.

68-A.J.Ayer. Editor's Introduction in Logical Positivism. A.J.Ayer (ed). the Free Press . Corporation. N Y . 1959 ;p 11.

69-Ibid. Ayer.A.j.Langage. Truth and Logicp 225.

70- تدهوندركش، دليل أكسفورد للفلسفة، ج1، ص 130.

71- عادل ضاهر، المرجع السابق، ص22.

72- صلاح قنصوة، نظريّة القيمة في الفكر المعاصر، ص 30.

73- منذر الكوثر،فلسفة التحليلوالبحث عن المعني (الوضعية المنطقية عند أيار)، دار الحكمة، لندن، ط1، 2004، ص 278.

74- بيري ر ب، إنسانيّة الإنسان، تر سلمى الخضراء الجيوشي، مكتبة المعارف في بيروت، 1961، ص ص 16، 20.

75- برتراند راسل، النظرة العلميّة، تر عثمان نويه، مكتبة الأنجلوا المصريّة، القاهرة، 1956، ص243.

76- نفس المصدر، ص ص 244-245.

77- نفس المصدر، ص247.

78- شفارتزمان، المرجع السابق، ص 27،

79- محمد محمد أمزيان، المرجع السابق، ص 15.

80- برهييه إميل ، إتجاهات الفلسفة المعاصرة، تر محمود قاسم ومحمد محمد القصص، منشورات دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، .1956، ص 75.

81-W.P.Alston. Philosophy of Language.Prentice Hall.1964. pp73- 85.

82- يحي هويدي، ما هو علم المنطق دراسة نقديّة للفلسفة الوضعيّة المنطقيّة، مكتبة النهضة، القاهرة،1972.،ص 35.

83- أحمد عبد الحليم عطيّة، الأخلاق في الفكر العربي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص 143.

84- عادل ضاهر، المرجع السابق، ص 49.

85- شفارتزمان، المرجع السابق، ص59.

86- شفارتزمان، المرجع السابق، ص 57.

87- نفس المرجع، ص 56.

88- نفس المرجع، ص 56.

89- نفس المرجع، ص 56.

90- زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج1، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، 1968، ص 19.

*التجريبية المنطقية :أو"الوضعية المنطقية" اسم أطلقه كل من بلومبرج Blumberg وهلبرت فايجلFeigel. H على مجموعة من الأفكار الفلسفية، التي أخذ بها أعضاء جماعة فيينا، أماالجماعة فقد تكونت منذ 1907 في بدايات القرن العشرين، حينما اجتمع عالم الرياضيات هانزهانH. Hahn والعالم الفيزيائي فيليب فرانك(Ph. Frank (1884-1966)، والعالم الاقتصادي أتونيراث(Otto. Neurath (1882-1945 ليكونوا خلية صغيرة تتكوّن من ثلاثة أصدقاء اجتمعوا لكي يناقشوا ويبرزوا الأهمية الكبرى لكل من الرياضيات والمنطق والفيزياء النظرية في التفكر العلمي، و« إقامة صلة بين أولئك الذين يتبعون المسار نفسه، ومدّ تأثيرها حتى أولئك الذين لا يزالون غربيين عنها».

**ميتا أخلاق أو ما وراء الأخلاق Met-ethics هي الدراسة الفلسفيّة لطبيعة الحكم الأخلاقي، لذا عوضا عن أن يعني الفيلسوف بمسائل تتعلق بما هو صائب ومخطئ حقيقة (أو خيّر أو شرير)، فإنه معنيّ بدلالة أو أهميّة وصف شيء بأنه صواب أو خطأ، على إعتبار أنه يتأتي على نحو مناسب تسميّة هذين النوعين من البحث بعلم الأخلاق، وقد يستخدم التعبير ما بعد علم الأخلاق على دلالات الحدود الأخلاقيّة ومسائل من قبيل ما إذا كانت الأحكام الأخلاقيّة موضوعيّة أو ذاتيّة، إلى جانب اشكاليات أخرى في فلسفة الأخلاق.

***تولمن ستيفن أدلستون، فيلسوف بريطان تأثر كثيرا بلودفيج فتجنشتين، كرّس جل أعماله لتحليل التفكير الأخلاقي، و تطوير الحجج العملية التي يمكن استخدامها بفعالية في تقويم الأخلاق